



مذكرات شمس

رواية

إيثار عبد الخالق

رواية

مذكرات شمس

(بين حلم وحب)

تأليف :

إيثار عبد الخالق الصعفاني

مذكرات شمس | إيثار عبد الخالق

جميع الحقوق محفوظة لدى المؤلف ©

اسم الكتاب : مذكرات شمس.

نوع الكتاب : رواية .

الطبعة : الأولى ٢٠١٨ م.

المؤلف : إيثار عبد الخالق الصعفاني.

يسمح بنشر أجزاء هذا الكتاب بأي شكل من

أشكال النشر الإلكتروني فقط مع تضمين الهاشتاق :

#مذكرات_شمس

ولا يجوز اقتصاص أي جزء من هذا الكتاب بهدف

إهدار حقوق الملكية الفكرية أو إعادة إنتاجه بشكل

مادي أو معنوي إلا بموافقة المؤلف.

الإهداء

عندما حان وقت كتابة الإهداء الذي كان آخر خطوة في هذه الرواية؛ كان جل تفكيري منصباً على المحبطين المشبطين لعزيمتي. لكل من قال بطريقة مبهمة " لن تستطيعي " لكل من خذلني، ولكل من أحبني.. أهدي إليكم كلماتي.

لكل من ساندني وأثار طريقي.. لكل شخصٍ قدم نصيحة، أرشدني، وصحح لي.

إلى حرف الميم والنون والعين. إلى أسرتي بكل أفرادها.
إلى ضجيج الفخر المنساب من كلمات كل من عرفت.
إلى أختي الحبيبة التي لن توفيتها أبجديات حرفي القليل من توضيحاتها
من أجلي ومساندتي (أثير)

إلى لمعة الفرح في عين صديقتي.

إلى ابتسامة أختي الصغرى (هديل)

إلى نبرة والدي التي تخفي سعادته بي . إلى قبلة أُمي الحبيبة.

إلى سندي وفخري أخي (محمد). كما هي إليك (ترف).

إلى أساتذتي :

خالد الناشري

خالد شمسان

حمزة عبدالله

محمد الأسطى

محمد الشويح

لما كان لهم من فضل كبير في تقويم ومساندة حرفي ليبدو متلألاً في عين قلبي.

وأيضاً لن أنسى فضل مدينتي الصغيرة التي حوت شغب كلماتي وعبير خيالي. لمن كان لهم الفضل في التوجيه من أساتذة ونقاد ودكاترة؛ في مجموعتي اليمن تكتب وأبجديات . وامتنان بحجم الحب والحلم لكل شخص ترك رسالة عطرة محتواها "فخوراً بك"، "استمري"، "سنراك في مكان عالٍ يليق بك".

على حافة الحلم؛ سأزهر رغماً عن الحرب

نبذة

ها أنا الآن فتاة صغيرة ذات أحلامٍ خياليةٍ ورؤىٍ تطمح أن
تصل بها إلى مرسى الأمان.

تحمل بداخلها الكثير من بذرات الحب؛ لتهديه إليكم على هيئة
ترتيل كلمات بسيطة؛ تأمل أن تلمس شغاف أرواحكم حينها
تبدأ بالنمو.

حاولت أن أنسجها من وحي الجمال؛ لتبدو كباقةٍ وردٍ من
التوليب الأنيقة، لتليق بتلك العينين الجميلتين، اللتان
ستبحران في باحة هذه الوريقات.

مقدمة

لكل شخص منا حكايته بكل ما فيها من أفراح، وأحزان، ومواقف.

لكلّ منّا شخصيته، وذاته المستقلة، وروحه المتحررة، والمنطلقة لكل ما سيواجهه في هذه الحياة؛ الأشبه برحلة مليئة بالجنون والمغامرات، مليئة بالصعاب؛ ويحفها القليل من السلاسة، والكثير من المحاولات، والأكثر من النجاحات؛ لمن استطاع ترويضها، ومجاراتها؛ وكأنها فرسه المدللة التي ترفض أن يهيم بها أحد غير صاحبها.

استهلال

أؤمن بأنَّ الحبَّ، والحلم وجهان لعملة واحدة؛ وبأنَّ الألم المتسبب - في كلا الحالتين - (عميق) .

أن تُحبَّ أحدهم، وتخلص في ذلك الحبَّ، معتنياً ببذرة حبك؛ حتى تنمو على ضفة الأمنيات؛ لتتذوق لذتها بعد ذلك الانتظار.

هنا فقط! تكون قد استطعت أن ترسو أنت وحلمك في برّ الأمان.

ولكن! إهمالك لتلك البذرة؛ قد يكون سبباً لاستجلاب عاصفةٍ حمقاء، تجثُّ تلك الزهرة الصغيرة، التي قد بدأت في البزوغ بحيائها المثلث؛ لتحطم جزءاً من قلبك، تاركةً خلفها ندبةً صغيرة، قد ترمم على مرّ الزمان؛ وقد يُرجَّح بأنها قد

تُنقَش كوسامٍ يصعب إزالته - بمختلف الأشكال - لما كان له
من أثر عميق في ذلك القلب.

والحلم هو الأخ التوأم لذلك الحب؛ فهو يترك ذات الألم.
عندما يصعب الوصول إليه، وملامسته بقلوبنا قبل أن نراه قد
بدأ في الارتسام؛ ليزرع في حياتنا سعادة لا متناهية؛ والفرحة
التي لن يستطيع أي شخص جلبها لك مهما حاول في ذلك.
ولكن النجاح الكبير هو قدرتك على الجمع بين حلم، وأمنية،
وجنون، وشغف، وإصرار، وأمل.



البداية ...

(١)

هناك خلف تلك الشرفة المطلة على حديقة صغيرة فاتنة
المنظر، علية الهواء، قدسية الحياة، يستساغ لمن رآها، التغني
بها.

وقفت في تمللٍ شاردةٍ الذَّهنِ، حاضرة الجسدِ، غائبة الروح.
أخذتني الأحلام بعيداً؛ حيث الجمال في عالم ينبض بالسعادة
والأمل؛ لأجد نفسي في لوحة تصرخ بالحياة؛ تملؤها الألوان،
ويحفها الحبُّ من كل جانب.

أرى النجوم بمحاذاتي أشاركهن أسراري نتبادل الطُّرف ثم
نضحك في شغب دون توقف.

(٢)

نعم صحيح نسيت أن أحدثكم عن نفسي ...

مرحباً أنا شمس ..

فتاة صغيرة، مشاكسة، عنيدة، كثيرة الأمنيات، والكلام،
أعشق الغرائب، وأخشى المرتفعات.

كنت كثيرة الحركة، رغم جسدي الصغير، الذي خيل لي بأني
حفيدة للسنافر لشدة تعلقي بعالم Disney

لطالما كنت أشعر بالضجر من ذلك؛ لكثرة ارتفاع رأسي،
وانخفاضه عند الحديث مع أحدهم، أو الاستماع له.

فتاة جميلة، فاتنة؛ أمتلك من الجمال ما تفتقر إليه الكثير من
فتيات الحي الذي أعيش فيه.

ذات بشرة بيضاء محمرة، وعينان رماديتان، ساحرتان، وشعرٍ
طويل كستنائي، وفم صغير مستدير وكأنه قطعة من التوت.

أمتلك صندوق ذكريات أنيق، أهدتني إياه أمي، عندما كنت
في الخامسة من العمر؛ وأخبرتني - حينها - بأن أضع بداخله،
كل الرسائل المكتوبة بحب، والمهداة إلى المستقبل، بشرطة أن
لا يفتح إلا في وقته الصحيح.

(٣)

كان والدي مهووساً بي كثيراً؛ كان كل مساء يروي لي الكثير من القصص التي أحبها عن الجميلات، والساحرة. كنت دائماً أتساءل ذات السؤال الطفولي البريء: هل لي بعصاً سحرية؛ تحقق لي الكثير من الأمنيات؟

لييتسم أبي ويخبرني بهمس: بأنه تلك العصا السحرية أهدتني إياها الساحرة، عندما كنت صغيرة، ولكن! لشدة تعلقه بي قامت بتحويله من عصاً إلى رجل وسيم؛ لتسرب إلى قلبي ضحكة جميلة، وابتسامة عميقة. كان لأبي طقوسٌ وقُدسيةٌ خاصةٌ في حياتي؛ لشدة شغفي، وتلقي به، لم يستطع أحد الوصول إلى تلك الدرجة من الحب.

(٤)

كان لآخر موقف جميل - جمعني مع عائلتي الصغيرة - صدىً
يتكرر باستمرارٍ أمام ناظريّ، وكأنه يحدث في تلك اللحظة.
عندما كنت في السادسة من العمر.. كانت أمي تصنع لنا
قالب حلوى لذيذ.

- أمي ألم تنتهي بعد من إعداد تلك الحلوى؟! أسرعني فأنا
أتوق لتذوقها على مضض؛ أشعر بأنها ستكون جميلة كثر
أمي أليس كذلك يا أبي؟

حينها ابتسم أبي بمكر وأتبع:

- بالطبع لا، لا شك أنك تمزحين؟!

لن تكون لذيذة؛ ستكون سيئة المذاق ألا ترين كيف تبدو
أمك وكأنها فزاعة!.

ضحكتُ حينها بهمس يا لك من مشاغب تريدها أن تفقد
أعصابها؛ كما تفعل كل مرة! إذاً فلتستعد لتلقَ حسابك.
رددتُ حينها قائلة:

- جاهزة يا أمي لإقامة المعركة هيا.

تذكرت عندما استعد أبي ليلوذ بالفرار منّا قبل أن يقع بين
يدينا وهرب ضاحكاً.

قائلاً: لن تستطيعا الإمساك بي.

لم أنس تلك اللحظة، التي سقط فيها على الأرض؛ توقف قلبانا حينها خشية منا أن نفقده في أية لحظة لأن أبي كف عن الحركة فجأة.

مرت دقائق كانت عصيبة جداً؛ مليئة بالخوف والصمت؛ لتتبعها القليل من الضحكات المستكينة في تلك الجثة المرمية على الأرض أسرعنا حينها لنلقنه درساً، انتهت بضحكات حلقت في سماء بيتنا الدافئ.

احتضني أبي ثم نهض قائلاً: سأذهب للراحة قليلاً إلى أن تجهز تلك الحلوى اللذيذة - كما قالت ابنتي - وأتبعها بغمزة أحدث القليل من الضوضاء، في قلب أمي؛ التي تحاول إخفاء ذلك اللون الأحمر الذي اختطف وجنتيها ولكنها تفشل ككل مرة.

(٥)

فقدت والداي في الحرب وأنا لم أبلغ من العمر سوى سبعة أعوام وخمسة أسابيع وزهرتين. مرت تلك الفترة الصعبة جداً بين توتر، وقلق، وحزن، وأرق. لأنني كنت مدللة جداً مفعمة بالحياة، والأمل، ولكنني استطعت تجاوز تلك المرحلة، والفضل الكبير يعود لجدي.

جدي الذي أعيش الآن بصحبته؛ والذي اختطف الدهر منه مفاتيح السعادة كلها؛ ليتركني له نجمة صغيرة.

الصغيرة التي استطاع تغليفها وإخفاءها في ثنايا قلبه؛ خشيةً منه أن يفقدها فيغزو عقله الجنون.

امتلكْتُ صديقةً وأماً أخرى؛ كانت تعني بي كثيراً في الصغر؛ مساعدةً منها لجدي-بعد وفاة والداي- ولأنها لم ترزق

بالأطفال؛ ولكنها أصيبت بالعمى قبل وفاتها، فبادلتها
الاعتناء.

(٦)

كنتُ أحلم دوماً أن أبني لي بيتاً من الحلوى اللذيذة، وعصا
السكاكر على إحدى الغيوم الزرقاء، وأن أقوم بصناعة
أرجوحة جميلة من عبق النجوم، وأغدو كل يوم بحب في
باحة السحاب؛ باحثة عن جناحي السكريّ، الذي أغفل عنه
كل ليلة؛ لشدة شعوري بالنعاس.

لم أحس يوماً بالفقد، و لم يخالطني شعور بالنقص؛ لأنني لا
أمتلك عائلة كبيرة كأصدقائي.

جدي - المرح - كان هو أجمل عالم بعد أبي؛ حوى من جنون
الحياة ولذتها ما لم يحضّ به أحد سواه. كان يدندنُ لي كلّ مساءٍ
أغنيةَ جدتي المفضلة بصوته الشجي، وابتسامته الفاتنة، التي
تفتح في قلبي ربيع الأمنيات، ودمعته الفارة - رغماً عنه -

تشكو حنينه، وافتقاده لوطنه (جدتي). في تلك اللحظات
أيقنت بأن عمق الحزن؛ لدى الرجل يتمثل في تلك الدمعة
المتמרدة من مقلتيه؛ في الأسى الذي ارتسم على ملامحه رغمًا
عنه. كم هو مؤلم أن ترى تلك الصورة القوية، في لحظة
ضعف؛ أن ترى قوتك، وصبرك في لحظة حزن. أن تلمح
عذابه المتكرر كل يوم، وقوته في الحفاظ على اتزانهِ؛ لكي لا
يشعرك بذلك.

أن تسمع أنين آهاته في جوف الليل؛ وأن تتسرب إلى أذنيك
كلماته وهو يتمتم في رجاء لا يشبع. فقط لكي لا يشعرك
بحزنه وضعف حيلته؛ أن يرسم تلك الابتسامة الصادقة على
شفتيك، ليراك عالياً.

كم يتأذى عند إصابتك بالألم الذي لا يستطيع أن يحمله، أو
أن يشاركك إياه .



الوجع: هو أن ترى تلك الدمعة المتطرفة، المنحسرة بإصرار؛
وهو يخشى تعثرك البسيط، ويمسح بيديه الحانيتين على
شعرك؛ فقط ليمدك بالقوة؛ لتخبرك عيناه بأنه لن يتركك
مطلقاً؛ مهما ثقلت عليك الحياة، وتغلقت أبواب الأمل أمام
ناظريك. فقط ليكون هو وحده أمل الحياة وحزنها بالنسبة
إليك.

(٧)

تنتابني ضحكة عارمة، كلما تذكرت مزاج جدي العجيب؛
عندما يقوم باختلاق الطُّرفِ الغريبة المعجونة بهاء الجنون؛
لمعرفته الشديدة، بأني أعشق الغرائب وأصدقها. فينثرها على
مسامعي، كلما رأيَ أشكو الضجر؛ في محاولة منه للتخفيف
من أحزاني.

تذكرت واحدة من تلك الطرائف المشوقة التي أصابتنني
بالجنون للحظة! كان يتحدث بنبرة تملؤها الجدية: أتعلمين
كيف تمت ولادتك، ومن أي تراب خُلقت؟! لأردّدَ بغباءٍ
رافعةً حاجبيّ: من تراب القمر يا عزيزي!.

فيجب بلهجةٍ مرحة: بالطبع لا، أنتِ مخلوقةٌ من معادلةٍ
كيميائيةٍ نووية بيولوجية، مكونة من محلول الشوكولا وآيس

كريم الغيوم الباردة؛ نُسجتِ من مزيج حبّ تصدّره
السحاب؛ حيّك جسدك من شعاع الشمس؛ لذلك نُسبَ
اسمك إليه.

حينها تعطي جيني علامة استنكار تشعرني بجنون جدي.

(٨)

لم أكن أخشى شيئاً، أكثر من عمق تلك الكلمات، المخيفة،
المنطلقة على حين غفلة؛ عندما يتحدث جدي بنبرة
متحسرةٍ يلبسها الحزن العميق:

(بُنَيْتِي، لن أَدُومَ لك كثيراً، أرجو أن تحرصي على اختيار زوجٍ
صالح؛ يكون لكٍ معطفاً يحميك من قرصات هذه الحياة،
وعصاً متينةً، لا تحرُّقواها في أحلك الظروف؛ لِيَقِيكَ عثراتِ
هذه الحياة، ويكون لكِ نجمةً لا تنطفئ، وقدراً لا يهين، ولا
يمل).

ما أكثرَ ما كان لتلك الكلمات من صدىٍّ عميقٍ بداخل
روحي! ورنينٍ يتكرر على مسامعي كلما اشتدَّت حبال الحياة
عليّ! في تلك اللحظة، تذكرتُ ذلك الشخص الذي أحبه؛

أغوص في عمق الأحلام، حتى أنني وصلت إلى تلك
الصغيرة التي أحبها؛ لتلمع في بالي فكرة غريبة، حينها، وهي:
أن أقوم بخط رسالة لصغيرتي المستقبلية، فقط لشعور جميل
اجتاحني عندما قام جدي بتوصيتي، وأيضاً محاولة مني
لاسترجاع قدرتي على صياغة الرسائل:

بدأت في خط سطورها، وروحي تكاد أن تخرج من جسدي؛
لتداعب كل كلمة تمت كتابتها في تلك الرسالة.

إليك تاج.

فتاتي الصغيرة، وزهرتي الجميلة

لملاكي الغائب، وحلمي الحاضر، لنسمة في ملكوت الكون
تزهر...

أنا هنا لأكتب لك..

سأكتب لعينيك البراقتين، لابتسامتك العذبة، لشغبك
المعهود، وملاحك الجميلة، وقلبك الفاتن، الذي أتوق لأن
أراه يتجسد أمام ناظري، وأنا أراقبك بشغف لا أتعب.

صغيرتي انظري إليّ. ها أنا هنا ألوح لك هل تشعرين بي كما
أشعر أنا؟! إياك والاقتراب من المنحدرات؛ فأنا أخاف عليك
من العثرات.

حلوتي اجلسي بأمان قريرة العينين، مطمئنة الفؤاد؛ فأنا هنا
أراقبك تضحكين، وتنقلين بين الغيوم، وتداعبين النجوم
وترسمين في كفّ القمر أبدع اللوحات؛ لا شك أنك
ستكونين مبدعةً لا محالة.

أثق بأنك ستتمكنين من العزف على آلة البيانو، والعزف على
القيثارة، والكمان، ستكونين سمفونيّتي العذبة..

ستتعلمين ركوب الخيل، والدراجات الهوائية، وأنتِ في
سعادة غامرة، وشعركِ المتطاير بخصلاته البنية في شغب لا
يشبع..

أعدكِ: بدفترٍ جميلٍ أرجوانيّ اللون لتنقشي على صفحاته
أعذب الأحلام..

أعدك: بالكثير من المغامرات، وطقوس الجنون، والأكثر من تلك الاحتفالات الليلية المصحوبة بالفشار والمثلجات..

أعدك: بمشاهدة العديد من أفلام الرعب التي يصحبك الفضول الجازم لرؤيتها. ولكن لا تقلقي سأكون إلى جانبك محتضنةً إياك؛ لكي لا يجد الخوف إليك سبيلاً..

أعدك: بتحقيق الكثير من أحلامك الغبية، التي تمنيت أن تقومي بها، والتي قد تشعرونا بالضجر أحياناً..

أعدك: بأني سأحرص على اختيار ذلك الأب، الذي لن تكفي عن الافتخار به، والذي سيكون فريستنا الوحيدة، وفأر تجارب أحلامنا الحمقاء..

أعدك: بأعمالٍ جنونيةٍ قد تنتهي بصراخٍ مزعج؛ حيث أننا سنقوم بوضع بعض المساحيق العجيبة في ذلك الوجه

الجميل، الذي يتوسد السرير، ونضحك بصوتٍ عميق..
سنمارس جنونا تحت زخات المطر، وسنراقب النجوم
ونحتضنها..

أعدكِ: بالكثير من قصص ما قبل النوم، وأغنيةٍ مفضلةٍ
بصوتي العذب، وحضنٍ مليءٍ بالحب منا حتى تغفو عيناكِ في
سلام..

سنأكل الكثير من البوظة، وسنصنع تلك الكعكة اللذيذة،
المحشوة بالفراولة، والمغمورة بالشوكولا..

حبيبتي أعدكِ: بأنك ستجدينا دائماً إلى جوارك، ممسكين
كفيك بحنين السنين، أعدكِ: بحبٍّ كبير، والأكثر من الجنون
ومستقبلاً مرسوماً بأروع الألوان وأجملها. ستكونين كوكبةً
من الفرح.

أنتِ فقط ستكوينين كل حياتنا.. ستكوينين فاتنتي، ومدللتي.
ارقدي بسلام، بحب، بأمان. فأنا هنا أراقبك..

ابنتي، ها أنا- أكتب لكِ هذه الكلمات - وأنا في السنة التاسعة
عشرة أملاً مني أن نقرأها سوياً في نفس العام من عمركِ.
سحابة من الحب، والأمان لقلبك الفطري.. أحبك.

أقفلتها وأنا أشعر براحة جعلتني أغوص في عمق المستقبل
البعيد.

قبلتها بحب؛ لتكون هي أول رسالة تستقر في ذلك الصندوق
الصغير .

(٩)

كنت متفوقة جداً في دراستي.

لم يكن هناك أي سبب لإزعاجي، أو تعكير مزاجي؛ لحرص جدي الشديد على توفير أسباب الراحة لي، وتأمين أجواء مناسبة للدراسة بنهم.

وها أنا الآن قد أتممت دراستي الجامعية بتفوقي المعهود، وسعادة جدي التي تشرق في سماء حياتي كلما أخبرني بأنه فخورٌ بي لقربي من الوصول إلى الهدف وتحقيقي له؛ رغم أني لم أكن لأحقق جميع ما خططت له بعد؛ ولكنه على ثقة كبيرة بأنني سأفعل ذلك حتماً.

أجمل شعور في هذه الحياة هو أن يخبرك أحدهم بأنه فخور بك، وبأنه يشعر بالسعادة لهذا الفخر، و بأنك قدوته وعزمه في هذه الحياة، ونورٌ لطريقه، وشمعة لمستقبله، وبأنه يرى نفسه بك، وبأنه ممتن للحياة، وللوجود الذي جعله يحظى بك؛ لتكون ذلك النجم المضيء في جانبه المعتم.

شعورك بالعظمة من هذه الكلمات، يثبت في نفسك جرعة مليئة بالتفاؤل، والبذل. تشعرك هذه الكلمات، بمقدار كبير من السعادة، والفرح، و بأن أبسط الأشياء التي تقوم بها من وجهة نظرك هي أكبر بكثيرٍ بالنسبة إليه.

(١٠)

درست هندسة ديكور، وكنت بارعة جداً لحبي الشديد لذلك
التخصص.

أترقص أنا وألواني الزاهية في كل مكان. كان حلمي أن
أجوب العالم بأكمله، وأن أكون فنانة ديكور مشهورة جداً؛
يقصدونها من مختلف البلدان. ولكن المنحة التي كان يفترض
بي أن أحصل عليها لإكمال دراستي العليا أتت تلك اللعبة
الخبیثة لتصبح ملكاً لشخص آخر، لا يستحقها.

عشت تلك الفترة في حالة من الجنون المخالط للحزن
والأسى؛ وتلك التساؤلات التي قد تبدو عقيمة جداً.

أنهيت مخزوني السري بالنجاح الذي يحتوي على الشوكولا
والحلوى أصبت بعدها بوعكةٍ صحيّةٍ؛ ناتجةٍ عن التهور
الغبي الذي حدث. يا إلهي إنّ بطني تشعر بالجنون.!!

قدّمتُ على الكثير من الوظائف عليّ أنسى تلك المنحة،
ولكنني لم أجد أي استجابة لذلك. مكثت بعدها في المنزل،
أقرأ الكثير من الكتب، وأقوم بنسج بعض الكلمات،
والاستماع إلى الموسيقى؛ عليّ أشغل تفكيري في أي شيء؛ كي
لا أصاب بالجنون. كما أنّي أقوم بحبكٍ عالمٍ خاصٍّ؛ أشعر من
خلاله بأنّي أجلس على أحد المناطيد العملاقة بسعادة مفرطة.

(١١)

هنالك سر وحيد في حياتي، لا يعلمه أحد سوى صديقتي المقربة.

أحببت ابن جارنا فهو شابٌ وسيمٌ مفتولُ العضلات، عميق الفكر، وطبيب-أيضاً - أتمَّ دراسته الجامعية السنة الماضية. لطالما كنت شغوفةً به منذ الطفولة؛ كان يقوم دوماً بتشجيعي في الصغر؛ لكي أجني أقوى العلامات؛ عندما كان يقول لي: أريدك أن تحققي ذاتك؛ لتعيشي حياة عظيمة جداً؛ تليق بك.

(١٢)

تقدم لخطبتي الكثير من الأشخاص؛ ولكني لم أكن لأقبل أيًّا منهم بحجة الدراسة.

إلا أن هناك شخصًا كان مميزًا جدًا بينهم؛ وهو الصديق المقرب لابن جارنا؛ ما جعله مميزًا؛ هو إصراره عليّ. لقد تقدم لخطبتي أكثر من خمس مرات دون كَلَل؛ علّه أن يجد بصيصًا من الأمل، الذي سيجعلني أقبل به، ولكن محاولاته لم تتوج بالنجاح.

(١٣)

استيقظت في صباح الخامس من مارس على رنين الهاتف
المزعج - وأنا مستاءة، وأشعر بالضجر - أجبتُ بكلّ هدوءٍ؛
محاولةً التمسك بأعصابي.

نعم من هناك؟!

أجابني صوتٌ أنثوي خمنت بأنه لامرأةٍ في الخمسينات من
العمر. ولكن لمن يعود ذلك الصوت يا تُرى؟!

ليقطع فضولي:

- مرحبا أنا سعاد جارتكم أم وسام؛ هل أنتِ شمس؟!

أجبتُ:

- نعم.

وأنا مشتتة الذهن؛ فوضى عارمة تقام في مجتمتي، وكأنها
تكمل العرس الذي حدث بالأمس.

حدث شيء غريب في تلك اللحظة!

رفعت رأسي قليلاً باتجاه تلك المرأة المقابلة للهاتف؛ أُصِبتُ
بالفزع؛ رأيت شعري يعانق السماء؛ لأنني لم أقم بمشطه منذ
ليلة البارحة؛ عند عودتي من حفل زفاف صديقتي، أشباح قد
غزت عيني؛ ليتمرّد كحلي الأسود مكوناً تلك العلامة
السوداء تحت الجفن، والتي تُعدُّ لشاربي الكحول، واحمراراً
غريباً أشك بأنه بقايا أحمر الشفاه.

أفقت من جنون تلك اللحظة في محاولة مني للاعتذار،
(المعذرة منك يا خالة، فقط شردت قليلاً).

ماذا هناك ؟

- لا عليك أردت أن أخبرك بأننا نود أن نقوم بزيارتكم. هل

لك أن تأخذي لنا موعداً مع جدك؟

- بالطبع سأفعل، سأهاتفك لاحقاً إلى اللقاء.

أخبرت جدي بذلك، فرحّب بحضورهم.

أتوا لزيارتنا في مساء ذلك اليوم، وهنا كانت المفاجأة نعم لقد

أتى لخطبتي ولم أكن لأتردد في القبول بالطبع.

تغمرك السعادة فجأة حينما ترى أنّ الحياة فتحت أبوابها أمام

أحلامك؛ لتتحقق الواحدة تلو الأخرى.

(١٤)

بعد مرور أربعة أشهر من ذلك اليوم ...

حلمي ها هو قد بدأ في التجسد؛ لينتقل من أحلامي الوردية إلى الواقع. لأزف في هذه الليلة للشخص الذي طالما حلمت أن أكون معه.

كان يوماً جميلاً للغاية؛ كانت فراشات السعادة تكاد أن تتطاير من قلبي فرحاً، وكان الجميع سعيداً عدا شخص واحد ستعرفونه لاحقاً.

أتت تلك اللحظة التي تدعو للتوتر الشديد؛ الممزوجة بالفرح وما أسمىها أنا بالفاجعة الصغرى. عندما كنت في الانتظار، وصل ظرفٌ جميلٌ جداً. ابتسمت بشغبٍ متحمسة في

رأسي (يا له من فتى رومني)؛ حال ما فتحتها رأيت شيئاً
آخر:

- حادثة عكسية حدثت! هنالك خطأ! لم تكن تلك الرسالة
منه!.

كانت من صديقه الذي أحبني؛ والذي تقدم لخطبتي كثيراً..
"(فتاتي وملاكي الصغيرة)"

اعتني بنفسك جيداً يا صغيرتي؛ ثقي بأني سأكون ظلك
النقي؛ الذي ستجدينه بالقرب منك؛ كلما ضاقت عليك
الحياة؛ ستريني إلى جوارك قبل أن تطلبي.

أتعلمين يا حبيبة؛ أصبت بألم حادّ ، اعتصر قلبي؛ عندما
وصلني خبر قبولك الزواج من شخصٍ آخر. أعلم بأنك

تجيبه كثيراً؛ وهذا هو السبب الحقيقي خلف رفضك الموافقة
على الزواج مني أو من شخص آخر سواه..

ليتك قبلت بي؛ فقط لتعيشي لذة السعادة، أحبتك كثيراً ولم
تشعري بي.

سأنتظرك حتماً لا تتأخري في اختيار قرار.

| كنان

كان شكلي حينها يدعو إلى الاستفهام! وأنا أقرأ تلك
الكلمات.

يا له من مجنون! ما هذا الهراء الذي يهذي به؟! وكيف سمح
لنفسه أن يقوم بمراسلتي؟! لقد أفسد فرحتي حقاً.

قمت بتمزيق تلك الرسالة بجنون؛ وأنا أفكر يا ترى ما السر
خلف تلك الكلمات؟

ماذا كان يقصد عندما أخبرني: بأنه سينتظرنى؟

(١٥)

بعد مرور ساعة ونصف تقريباً؛ تم زفافي لأكون في انتظار
فارسي؛ الذي لطالما حلمت أن أكون إلى جواره، ممسكةً يديه
في سعادة طفولية. ولكنه تأخر كثيراً بالحضور. مر الكثير من
الوقت قبل مجيئه.

وأخيراً ها هو قد وصل؛ يا إلهي ما هذا الشعور هنالك
اضطراب غريب بداخلي اللعنة: اصمتي اصمتي.-كنت
أحدث نبضاتي التي كادت أن تنتزع روحي بغباء-

ولكن ما به هكذا مُقَطَّبَ الحاجبين؟ يراني بنصف عين؛
وكأني قد قمت بقتل أحد أقربائه.

اقرب مني متحدثاً بلهجة يملؤها الغضب:

- لماذا قمتِ بالموافقة على الزواج بي؟ سمعت بأن هناك
الكثير ممن تقدموا لخطبتك، ولم توافقي على أحدهم، إذاً ما
الذي حدث؟! هل لك أن تخبريني؟

أُصِيبَ عقلي بالذهول من هول تلك الكلمات، التي لم أكن
لأفهم مغزاها في تلك اللحظة.

إذاً لم تقدمَ لخطبتي وهو لا يريدني أن أوافق عليه؟!!

تجمدت أطرافني؛ ليتبع حديثه قائلاً بلهجة يملؤها البكاء مرة
أخرى:

- أنا أحب تلك الفتاة ولا أريد سواها؛ ولكنهم أرغموني على الزواج منك؛ وأنا لا أحبك، ولا أقوى على رؤيتك كل يوم سأزوج الشهر المقبل بالفتاة التي أحبها مهما كلفني الأمر.

وخرّ على الأرض ساجداً، يبكي، ويتمتم - وكأنه طفلٌ صغيرٌ فقد والديه للتوّ - :أحبها يا إلهي؛ ماذا علي أن أفعل؟

بعد دوامة بكاء مريرة، استمرت لمدة ساعتين؛ وأنا ساكنة الحركة، ودموعي منهمة بغزارة، خالية من أي تعبير. استجمع قواه، تابع حديثه:

سأذهب - أنا وكنان - لخطبتها؛ فوالدي رافضٌ تماماً

- ماذا قال؟! كنان؟!

بدأت تلك الصورة بالاكتمال لدي.

فهمت المغزى الآن خلف سطور تلك الرسالة.

كان يعلم سلفاً أن وسام لا يجنبي إذاً؛ ولكن من هي تلك الفتاة، التي يكاد أن يموت من أجلها.

خرج وسام؛ ليركني خلفه في مشادة عميقة بين الواقع، وحيي الدفين.

- يا إلهي! ماذا عليّ أن أفعل؟.

ارتمت على سرير في حالة من الصدمة، التي لم أستطع أن أفيق منها بعد.

شعور بالإهانة اكتسحني في ذلك الوقت.

مر طيفٌ خفيّ لا تذكّر حديثاً لصديقتي المقربة ليلى؛ عندما أخبرتها بحبي له: (شمس إياك أن تتزوجي من رجل أحبته

أنتِ ستندمين كثيراً، تزوجي من ذلك الرجل الذي يحبك فقط، ويفني عمره من أجلك؛ هو وحده من سيعتني بك ولن يسمح لجنين دمعة؛ أن يحظى بنعومة خديك).

(١٦)

غفوتُ - حينها - من شدة التفكير الذي أرهق كل خلاياي.
لأستيقظ بعدها في صلاة الفجر، قمت بانتزاع ذلك الفستان الغبي.. تذكرت ليلة البارحة. دعوت الله أن يختار لي الخير والصواب.

أسمع طرقاتٍ قادمةً من هناك إنه وسام تفضل بالدخول.
لمحت الذهول في عينيه - وكأنه لأول مرة يراني - كان شارد
الذهن تتم بهدوء: (جميلة حقاً).

تسللت ابتسامة خجولة، واحمرار خفيف - غزا ملامحي -
جعله يستيقظ من شروده.

تحدّثَ بطريقة متلعثمة: (نعم صحيح، أتيت؛ لأخبرك بأن
جدك سيأتي لزيارتنا اليوم أرجو أن تكوني متفهمة).

حينها شعرت بسكاكين من الألم، تنغرس بعمق في قلبي
الصغير. حاولت أن أزيل آثار تلك الدموع المتخثرة منذ ليلة
البارحة؛ بالقليل من مسحوق التجميل.

(١٧)

ذهبتُ لاستقبال جدي وأنا أرسم ابتسامتي بإتقان خشية أن ينفضح سري. ولكن محاولتي باءت بالفشل؛ فقد استطاع جدي أن يكتشف حزناً متسترًا خلف تلك الابتسامة المتصنعة.

تحدث بنبرة حنونة:

- صغيرتي؛ ماذا هناك؟ أعلم بأنك تخفين سرًا، ثقي بأني سأقف إلى جوارك مهما صعب الأمر.

نزلت تلك الكلمات بردًا، وسلامًا على قلبٍ شكى جور ذلك الحب، الذي تحول إلى قنبلة مميتة، بدلًا عن تلك القنبلة المنشودة. والتي استطاعت أن تنتشل كل ذرات السعادة المتبقية في ثناياه منذ الصغر. احتضنت جدي بخوفٍ شديدٍ

سكن تلك الروح الحزينة بداخلي؛ علّه أن يعيد لي القليل من
نظارة ذلك القلب كما كان سابقاً.

أخبرت جدي: بأن السبب خلف ذلك الحزن الذي رآه
يترسم وجهي؛ ما هو إلا لحزني الشديد على فراقه، ولشعوري
بالاستياء الذي يعتريني؛ لأنني تركته وحيداً يشكو همّه لكوب
القهوة خاصته.

لم يكن ليصدق تلك الترهات؛ ولكن حاول-جاهداً-فعل
ذلك من أجل أن يطمئن قلبه عليّ. سمعته يتلو آيات
التوصيات العميقة جداً، على وسام خوفاً عليّ من متهات
هذه الحياة؛ ولثقته الكبيرة: بأنه وحده من سيحميني من جميع
العثرات، وسيقف إلى جوارى محتضناً أحلامي. ولكنه لم
يكن يعلم حقيقة ذلك الأمر؛ ليتني لم أكن لأقبل به؛ ليتني لم

أرفض كنان الذي حارب كثيراً من أجلي؛ لسبب عقيم نسج
من شبح الخيال.

(١٨)

في ذلك الحين، شدتني فكرة أشبه بالمستحيل؛ وهي أن أحاول جذب وسام إليّ؛ عليّ أن أنسيه تلك الفتاة؛ لنحيا حياة يسودها الحب، كما كنت أحلم دوماً.

مرّ أسبوعٌ. حاولتُ جاهدة أن أكون تلك المرأة المطيعة، والمحبة الرومنسية؛ لأفوز بذلك القلب الذي أصابني الشك بأنه لا يشعر مطلقاً.

فأنا لا أتذكر يوماً جميلاً جمعنا سوياً عدا ذلك اليوم؛ الذي سبق ليلة زفافه؛ عندما ذهبنا سوياً نجوب الحي، تناولنا الثلجات، لعبنا البلايستيشن؛ كل ما شعرت به في ذلك الوقت: بأنني استطعت أن أمتلك قلبه أخيراً؛ ولكنني لم أكن أدرك حقيقة الأمر خلف تلك النزهة البسيطة، التي حوت

بداخلها جنون اللحظة، وشغفها. فها هو قد دثر تلك
اللحظات؛ في ذات اليوم بالنسبة إليه؛ متناسياً كل ما حدث؛
ليترك خلفه ندبةً صغيرة، برائحة تلك الزهرة، التي أهداني
إياها ذلك المساء .

(١٩)

في صباح اليوم التالي:

أخبرني بأن الغد هو يومه المنشود والذي انتظره كثيراً.
لتجتاحني حينها رغبة في التقيؤ؛ عليّ أن أنسى ما حدث في
اليوم السابق.

خالطني شعور: بأنه قد ثمل من شدة حبه لتلك الفتاة الخفية،
التي لم يعد يرى سواها على هذا الكوكب؛ وأخذني فقط في
تلك النزهة؛ لكي لا يشعرني بالنقص؛ وليرى هل سيبدع في
إيصال حبه لفتاته بهذه الطريقة أم لا؟ ولم يكن يدرك بأن
قلبي قد تحلل إلى ذرات صغيرة منسية؛ تتطاير مع هبوب
الرياح.

في ذلك اليوم المشؤوم - بالنسبة إلي- أُصِيبَ قلبي برجفةٍ عميقة. كنت أطمئنُ نفسي بأعذار واهية: لا بأس، سأحاول التأقلم مع ذلك الوضع.

لأؤمن حينها أن الحب:

(هو عمى القلوب وليس العيون كما يقال؛ وبأن الجمال لا قيمة له عند الوصول إلى ذروة الحب).

(٢٠)

غداً هي ليلة زفافه من فتاة أحلامه..

ليته كان يعلم بأني من أحبه بجنون؛ ليته علم ذلك فقط!

أخبرني بأنه سيحرص على أن يعدل بيننا؛ ولكنني على ثقة
كبيرة بأنه لن يستطيع فعل ذلك مهما حاول.

مر شهرٌ على زواجه؛ كان كلما أراد أن يأتي لزيارتي في مدة لم
تكن تتجاوز العشر الدقائق تقريباً؛ بحجة أنه ما زال عريساً
جديداً؛ كنت ألمح تلك السعادة. لم أكن لأرى تلك الابتسامة
التي تعطي شفثيه مطلقاً عند زواجه بي. دخلتُ بعدها في حالة
من الضيق العميق؛ الذي بسببه كرهت جميع زياراته لي.

لم نعيش في ذات البيت؛ ولم أستطع التعرف عليها، بعد أن أخبرني بأنها لا تود ذلك؛ ولتحيا كل منا في بيتها الدافئ بهدوء.

أدركتُ حينها بأني سأعيش على الهامش فقط؛ وأنا تلك الفتاة الشغوفة التي لا يمكن أن تكون هامشاً لا قيمة له في هذه الحياة. لم يكن جدي قد اكتشف ذلك الخبر بعد، ولم أستطع إخباره؛ خشية أن يصاب قلبه بشيء - لا قدر الله - لأنه يشكو مرض القلب.

(٢١)

في إحدى الليالي شديدة البرودة؛ استيقظت من النوم، وأنا
أشعر بألم شديد استطاع التمكن مني.

لم أكن أعلم ماذا عليّ القيام به. لم يكن وسام موجوداً ، فقد
ذهب منذ شهرين هو وعروسه الجديدة؛ ليقضيا وقتاً جميلاً
بعيداً عني.

حاولت حينها الاتصال به، ولكن الفشل كان حليفي -دائماً-
كلما احتجت إليه. أتت كل وعوده مزخرفةً بإكليلٍ من الفشل
والخداع؛ تزوج وتركني خلفه وحيداً، ممزقة الفؤاد، لم أكن
على بينة. ما هو السبب الذي جعله يتعد عني كثيراً؟
وبعد صعوبة بالغة أشرقت شمس الصباح أخيراً. أسرعت
في ارتداء عباةتي لزيارة الطبيب.

انتهى ذلك الألم عندما قاموا بإعطائي حقنه مهدئة؛ لأستقبل بعدها فاجعة الخبر.

أخبروني بأني حامل!.

ما هذا؟! أيعقل بأن يكون في أحشائي قطعة صغيرة لطالما تمنيت وجودها بشغف مميت، ولا أشعر بسعادة حيال ذلك الخبر؟!.

جَلَّ ما كان حلمي هو أن أتقاسم فرح ذلك الخبر مع شريك سعادتي.

اللعنة لتلك الأقدار، التي تأتي خارجة عن إرادة المرء.

ولكن يا ترى هل سيسعد بهذا الخبر.؟!.

مر طيف جدي أمامي:

(شمس أسرعى هيا في إنجاب تلك الفتاة الصغيرة، التي ستأخذ ملامح جدتك، حتى أغدق عليها، بالكثير من الألعاب، والحلوى اللذيذة).

تلك اللمعة الصادقة، التي استرقتها من تلك العينين الملائكيتين التي استطاعت تلك التجاعيد إخفاء القليل من جمال رونقها .

عند عودتي إلى المنزل؛ حاولت التأقلم مع ذلك الوضع؛ لأعيش جنون تلك اللحظة. وصلني للتو اتصال من رقم غريب، لأشكّ بأنه وسام، ربما كان شعور الأبوة قد زارهُ؛ ليطمئن عليّ - ضحكت في خفوت - رفعت السّاعة وأجبت سريعاً نعم وسام؛ ليقاطعني صوت خشن لم أكن لأسمع تلك النبرة مسبقاً

- مرحبا هل هذا هو رقم شمس؟

أجبت: نعم! وأنا أشعر بالتوتر والقلق. نعم إنها أنا. ماذا هناك؟

- هل تستطيعين المجيء إلى مستشفى ال..... من فضلك.

- سأحضر بالطبع ولكن ماذا هناك؟ هل لك أن تخبرني فقط لتسبع فضولي؟!

- عندما تصلين ستعلمين كل شيء، أرجو أن لا تتأخري في المجيء من فضلك؛ سنكون في انتظارك، إلى اللقاء.

لم أستطع حينها أن أستجمع قواي؛ لقد تمكن الخوف مني.

خشيت أن يكون وسام قد أصيب بشيء - لا قدر الله-.
نفضت تلك الفكرة من رأسي. بمن يجب عليّ أن أتصل الآن

لمساعدتي؛ فالمشفى يبعد كثيراً عن الحي الذي أعيش فيه. ولن أستطيع أن أخبر جدي بذلك؛ فأنا أخشى عليه.

حاولت مراراً إعادة محاولة الاتصال بوسام، ولكن لا فائدة من ذلك.

القليل من الغياب يقيم بداخلي آلاف الصراعات الهائلة في وحالك. لماذا تأخرت؟ تذكرت في ذلك الوقت رقم كنان لقد قام وسام بتسجيل رقمه في هاتفي قبل سفره؛ وأخبره أن يعتني بي حين رجوعه؛ سأبحث عنه فالمكان بعيد ولا أستطيع الذهاب بمفردي.

حاولت محادثته وأنا في توتر شديد؛ لعلمي بأنه كان حريصاً على الزواج مني.

أجابني بصوته الهادئ؛ لتزايد ضربات قلبي، ولم أكن أعلم
السبب حقاً.

- نعم من هناك؟

ارتبكت - حينها - ولم أستطع الحديث.

- أنا.. إنه أنا؛ نعم أنا شمس هل تستطيع مرافقتي للمشفى؛
فوسام مسافر كما تعلم وأنا بحاجة إلى الذهاب الآن؛ ولكنني
لا أستطيع الذهاب بمفردي فهو يبعد كثيراً عن هنا.

أجابني - وأنا أكاد أشعر بتلك السعادة التي غمرت قلبه -
فجأة عندما أخبرني بأنه سيأتي علي الفور.

ذهبنا سوياً ولم ينطق أحداً بأي كلمة.

إلى أن شعرت بأن الجو بدأ في التكهرب؛ والمسافة ابتعدت كثيراً.

رغم أنه كان يقود بتهور وسرعة شديدين؛ عندما أخبرته قصة الاتصال. راودني شعور بأنه يخفي عني سرًا، ولكنني لم أكن أمتلك تلك الجرأة لأسأله.

وصلنا وضربات قلبي قامت بالتزايد، بشكل جنوني؛ حتى خالطني شعور بالدوار حينها. وصلت إلى نهاية الممر لأسمع أحدهم يقول:

- هل أنت شمس؟ عظم الله أجرك؛ لقد توفي العم حسن منذ ساعتين؛ لم نستطع إنقاذه؛ فالجلطة كانت قوية جداً عليه.. أصبت برجفة عميقة، سرت كتيار كهربائي حارق في جسدي؛ ليروني بعدها جثة مرمية على الأرض.

أدخلوني غرفة العناية؛ وأكمل كنان الإجراءات اللازمة المتعلقة بالدفن وما إلى ذلك. ثم أتى ليطمئن عليّ. وأثناء دخوله سمع الممرضة وهي توصيني بأن أنتبه للجنين فأنا ما أزال في المراحل الأولى ليصاب عقله بالجنون.

كنت أستمع لأنين بكائه خلف ذلك الباب؛ كان في حالة من الصدمة اللامفهومة.

دخل بعدها ليطمئن عليّ، وقد استحل الحزن وجهه الجميل، واحمرّ أنفه ليبدو أكثر جمالاً.

قاطعته قبل أن يبدأ في الحديث؛ كنان يجب علي أن أعود إلى المنزل الآن. فأنا مرهقة جداً.

ونحن في طريقنا إلى المنزل. تحدث كنان بهمس:

- شمس لقد أخبرت وسام بذلك - وهو يشعر بالحزن -
وأوصاني أن أعطني بك جيداً حالما يعود؛ فأرجوك لا تحجلي
مني.

أسمعتم ماذا قال؟! إنه يحدث وسام! كيف ذلك وهاتفه
مغلق؟! وقلبي قد كاد أن يحترق؛ خشية أن يصاب بأذى وأنا
لست إلى جواره.

تحدثت بنبرة مستفهمة:

- كنان.. لقد حاولت الاتصال بوسام كثيراً، ولكن دون
فائدة! إني أشعر بالقلق لم لم يحدثني منذ أن سافر؟ ولكن كيف
استطعت أنت محادثته، وهاتفه مغلق؟

شعرت - حينها - بارتباك كنان عندما رأيت العرق قد بدأ
يتصبب من جبينه فجأة.

لقد وصلنا إلى المنزل لا تنسي أن تتصلي بي عند الحاجة إلىَّ.

حدثني وهو يخفي سرّاً عميقاً لم أستطع معرفته.

نزلت من السيارة وأنا أشعر بألم. بعد دخولي إلى المنزل جلست على الأريكة المقابلة للباب؛ أتأمل بصمت. حاولت مجدداً الاتصال بوسام، ولكنه لم يجب مطلقاً؛ شعرت بالضجر حيال تجاهله لي.

سددت رميةً ممتلئةً بالغضب؛ ليرتطم بعدها على حائطي الزهري تاركاً خلفه أثر شروخ؛ ليسقط متلاشياً على الأرض. وغصتُ في عالمٍ من الأفكار الموسوسة: لا بد أن وسام لم يستطع تقبل وجودي المفاجئ في حياته مطلقاً؛ ولهذا السبب قد ابتعد؛ ليتركني وحيدة مبعثرة، دون اهتمام؛ أشعر بالعتمة كلما وجدت نفسي أشكو ضيق همي للسماء؛ لتنهمر غيمة

الحنين الساكنة في عينيّ، لتعلن ضعف حالي، بعد أن ارتميت
في حضن المساء لألتحف سحابةً خجولة، ضجرت من كثرة
الملوحة والألم.

(٢٢)

مرت فترة العزاء وأنا أشعر بضيق شديد لم يكن هناك أحد إلى جوارى عدا كنان؛ فقد كان يطمئن عليّ بين الفينة والأخرى. حتى صديقتي المقربة ليلي، لم أعد أشعر بوجودها منذ أن تزوجتُ. لا أعلم أين اختفى شغبها فجأة. ألا يفترض بها أن تكون الآن إلى جانبي؛ فأنا بحاجةٍ إليها كثيراً.

مرت ثلاثة أشهر بعدها لأدخل في شهري السادس؛ ولم يصلني أي خبر عن وسام.

أصبتُ باليأس من وجوده مرةً أخرى في حياتي.

قررت أن أبدأ بإعادة ترتيب حياتي من جديد؛ من أجل طفلي المستقبلي.

ولكن خطرت في بالي فكرة: سأقوم بالاتصال بليلي؛ لقد اشتقت إليها كثيراً؛ وسأخبرها أيضاً بحملي لا شك بأنها ستفرح كثيراً.

أدخلت رقمها المنحوت بذاكرتي في هاتفي الجديد.

بدأت أستمع الرنين ولكنها لم تجب سريعاً؛ قد يكون السبب في ذلك هو عدم معرفتها للرقم.

هناك صوت في الجهة المقابلة:

- الو من هناك؟

أبعدت السماعة قليلاً لأأمل الرقم مرة أخرى إنه يعود ليلى؛ ولكن الصوت لا يعود لها!

بدا العالم أمامي مهجوراً حزيناً؛ لتشتد ظلمة الليل فجأة
بدون سابق للإنذار؛ لتدق ساعة الحق مهما تأخرت في
المجيئ، إلا أن الحجاب سينكشف في الأخير؛ يا إلهي الرحمة.

أجبت بصوت باكي (وسام)!

ليغلق الهاتف في ذات الوقت.

لأسقط بعدها على الأرض منهارة باكية. بدا كل شيء
مشوشاً أمام ناظري؛ وبدأت الصورة حقا في الاكتمال.

لقد كانت تلك العروس الجديدة هي ليلي.

نعم.. إنها صديقتي التي قامت بتحذيري من حبه مراراً.

أصبحت الآن هي العروس؛ أخذته بعيداً عني لتحظى هي

به.

(٢٣)

مر أسبوع وهاتفي كاد أن يحترق من الرنين؛ حتى أن كنان
كان يأتي كل يوم، ويذهب يجر أذيال الخيبة معه لأنني لم أكن
لأجيب على أيٍّ منهما.

جميعهم يكذبون تركوني وحيدة، في ذلك البيت المظلم؛
لأبكي بمرارة، وأتجرع ذلك الحب مرًا وحنظلاً.
(أحبته أكثر مما ينبغي)، وخذلني أكثر مما أستحق.

(٢٤)

بعد مرور أسبوعين. استيقظت باكراً قمت للملحة ما تبقى
من شتاتٍ روحي؛ لأتخذَ بعدها قرارٍ كثيرةً قد تكون
حازمة بالنسبة إليّ.

اتصلت بكنان؛ لأخبره أن يأتي في الحال؛ لأنني أريد مناقشته في
خبرٍ مهم.

ذهبت لمقابلته في المقهى المجاور للمنزل؛ لأنني لم أكن لأقبل أن
أستقبل غريباً في منزلي مهما كانت درجة ثقتي به. عند وصوله
لمحت لهفته الشديدة في الاطمئنان عليّ.

بدأت الحديث بنبرة مكسورة، وعينين مرتكزتين على حافة
الطاولة.

- أخبرني ما الذي تعلمه بشأن ليلى ووسام.

لم يكن مصدومًا لمعرفتي بالخبر؛ لأن وسام قد قام بإخباره
بحادثة الاتصال، وكذلك معرفتي بزواجه من ليل.

طأطأ رأسه ليبدأ حديثه:

- لقد كانا يحبا بعضهما كثيراً منذ فترة طويلة؛ لقد علمت
أيضاً من ليلي بأنك كنت تحببني؛ وأخبرتني أيضاً بأنها قد
قامت بتقديم العديد من النصائح لأجلك، لتبني وسام؛
ولكنك لم تفعل ذلك. كانت تخشى أن تتأذى علاقتكما إن
اكتشفت حبهما.

كانت على علم أيضاً بأن وسام سيتقدم لخطبتك؛ فقد كانت
على ثقة كبيرة بأنك ستجحضين ذلك. لأنك قد قمت
بإقناعها بأنك لا تفكرين بالزواج مطلقاً قبل إتمام دراستك
العليا؛ لأنها هي كل ما يشغل بالك في هذه الفترة؛ ولرفضك

الذي شمل الجميع. فأصيب الجميع بالصدمة عند معرفتنا بقبولك للزواج. لم يكن لهما أن يصدقا ذلك. تزوج بك ولكنه كان عند وعده الذي قطعه لها منذ زمن: بأنه سيحارب الجميع ليحظى بها؛ وها هو قد أقدم على ذلك؛ رغم زواجه منك. ولم يكن هنالك أي عائق أمامه.

وابتعدا لحرصها أن لا يصيب قلبك الحزن؛ رغم أنها كانت خائفة من تلك اللحظة التي سينكشف فيها السر ذات ألم. كان حديثه يحقن بقسوة في قلبي وكأنه جرعة من الأسيد، التي تفتته دون رحمة.

تحدثت - حينها - وأنا أشعر بالاختناق قد أحاط قلبي:

- لماذا لم تقم أنت بإخباري؟

إذاً لم أنا حاملة الآن؟

ما هذه الأنانية؟

لم يكن يفترض بي أن أحمل جنيماً لا ذنب له في هذه الحياة
سوى حب أمه الشديد.

صمت قليلاً ثم تابعت قائلة:

- ولكن أتعلم أنا فخورة به كثيراً لأنه رجل لم يكن ليخون
وعداً قطعه رغم الألم الذي بداخلي إلا أنني سعيدة بزواجهما.
أتبعت حديثي بألم مخالط لملوحة الدموع:

- كنان لقد أصيب جدي بتلك الجلطة عندما رأى وسام
بصحبة صديقتي المقربة؛ لم يكن ليستحمل ذلك المنظر، ذهب
وهو لم يرَ طفلي بعد.

لم يكن صحيحاً إخفاء ذلك السر عن جدي؛ لقد أخطأت كثيراً، ولكن ما الفائدة الآن؟

ها أنا أندب حظي دون فائدة؛ قد ذهب لا يمكن أن يتغير شيء الآن.. ليتني أستطيع إعادة جدي للحياة. ليتني مت بصحبة والداي، لما كنت حزينة الآن أتجرع مرارة الحب وحيدة.

إلى هنا ستكون هي النهاية الفاصلة؛ يجب عليه أن يقوم بتطليقي ليعودا للعيش هنا.

لن أقوم بافتعال المشاكل أو أشعل الحرب. فقط ما أريد منه هو أن يترك لي طفلي معي.

لا أريد أي شيء آخر منه سواه.

(٢٥)

عندما أخبر كنان وسام عن القرار الذي اتخذته أتى لمراجعتي .
أراد أن يمحّو تلك الفكرة الغبية كما كان يشعر؛ لعدم وجود
سبب مقنع لذلك الطلاق؛ لأنه يرى بأن من حقه الزواج .
كان حلمه أن يراني أحترق بنيران الغيرة وأنا أراه محتضناً
لصديقتي .

لا أعلم ماهي الأفكار الغريبة التي تطرأ على مخيلته؛ ليطلب
مني هذا الطلب . ولكنه كان يتحدث بنبرة دافئة جداً . لم أكن
قد اعتدت على تلك النبرة من قبل . أحسست بأن قلبي كاد
أن يخرّ مني ليتبعه بجنون . قدم لي الكثير من كلمات الغزل
المجنونة، والوعود التي أعاققت قدرتي عن السيطرة على
مشاعري البريئة؛ لأصدق كلماته دون أدنى تفكير مني .

في تلك الأثناء- وقد بدأت مشاعري في الانجذاب إليه من جديد، متناسية خبر الطلاق- وصل اتصال كان من ليل. ذلك الاتصال جعل منه هارباً دون أدنى اهتمام بي، أو تقديرٍ لمشاعري المهدامة. ذهب ولم يخبرني حينها أي شيء، سوى: أن ليل بحاجته على الفور، ويجب عليه العودة سريعاً؛ لربما أنها تشعر بشيءٍ ما.

ماذا قال؟! أهذا سبب كافٍ يجعله يتركني خلفه مهانة لا قيمة لي؟ وأنا التي تعاني ألم المشاعر، والحمل معاً، ولم أتذمر أو أشكو علة.

(٢٦)

خرج لأجلس بعدها في أسي عميق ممسكة قلمي؛ لأخط
جروحي بحبر من ألم.

عندما نشعر بصراع داخلي مليء بالغرابة والاستفهام مليء
بالشكوك والتساؤلات. لماذا فعل ذلك؟ وبم كان يفكر؟
طالبة الإجابة الشافية.

نعم أحببته رغم كل ما مضى، نعم أحسست ببصيص من
الأمل الذي يتدفق من ذلك الفانوس الصغير الذي أوشك
على الفناء. حاولت التمسك، به طالبة النجاة من بحر تلك
الأسئلة الغبية؛ التي تنجرف باستمرار في مخيلتي؛ طالبة مني
الخلاص.

كيف يجب عليّ أن أواجه هذه الأسئلة بمفردي؟ وماذا عليّ
القيام به؟

حقاً، قد تكشف لك هذه الحياة مدى حماقتك؛ لأنك
انجرفت خلف وهمٍ لم يكن عليك التشبث به.

(٢٧)

بعد مرور شهر قام وسام بتطليقي في المحكمة؛ رغم محاولاته
العديدة الأخرى؛ لأقوم بالتراجع عن تلك الفكرة؛ عندما
علم بخبر حملي.

لكني لم أكن لأقبل بذلك؛ لأكون حرة بعدها..

كان لذلك الانفصال أثرًا عميقًا على نفسي. لقد تولدت
بداخلي أضعاف تلك العزيمة لأكون امرأة ناجحة في حياتها
لا يعيقها موقف ولا يعيقها رجل.

عاد للعيش مجددًا في نفس المدينة. وأنا بدأت حياة جديدة
خالية من الأوجاع والأحزان. فقط عالم يحتويني أنا وصغيري
ولا شيء سوانا.

(٢٨)

مرحباً من جديد..

أنا شمس فتاة عشرينية، جميلة جداً، قوية، تحمل في عباؤها الكثير من الأحلام، والرؤى التي تطمح أن تقوم بتجسيدها على أرض الواقع. مهما تطلبت منها الحرب. مكثت في البيت في محاولة مني لاسترجاع تلك النضارة والقوة التي فقدتها على حين غفلة، وفي انتظار موعد ولادتي. وها أنا قد قمت بمراجعة تخصصي الجامعي. بحثت كثيراً، وفكرت أكثر. لأصل إلى قرار كان صعباً جداً في هذا الوقت؛ ولكنني قمت بالمجازفة؛ لأثبت لنفسي أنني أستطيع فعلها. قررت أن أكمل دراستي العليا. وسأقوم بالبحث عن فرصة عمل جديدة لتكون هنا هي نقطة تحول جديدة لا تحتوي انكساراً، أو خضوعاً.

(٢٩)

أخذت أحدث نفسي دائماً بكلمات تبث في قلبي جرعات من
التفاؤل، والقوة حتى لا أصاب بالضعف، أو الخوف:
شمس ستبقي تلك القوية التي تواجه الأعاصير بحزم
وثبات.

وستبقي ذلك النجم المشع في عتمة الآفاق.
تحملي في أثرك الكثير من الجمال، والسحر.
وتبقى همساتك، وكلماتك هي الأكثر إحداثاً لصدى السعادة
في تلك القلوب المنهكة. وستبقي كما عهدتك مشاغبة،
عنيدة، براءة.

تملكين ابتسامة نقية، صاحبة.
وتملئين الوجود حباً وضياءاً.

(٣٠)

قرب موعد ولادتي كثيراً. وأنا بمفردي لا أمتلك أحداً إلى جواني.

تذكرتُ الأم الثانية لي؛ التي اعتنت بي كثيراً عند الصغر، قبل أن تفقد بصرها. وقبل أن أفقدها أنا إلى الأبد، والتي كانت أمنيته البسيطة أن أكون كاتبة عملاقة بدلاً عن تخصص الهندسة، لأنها ترى فيَّ المجد والعلو.

فكرت أن أقوم بالكتابة عنها. ها أنا الآن استطعت تحقيق حلمها..

لقد مر وقت طويل لم أكتب فيه، سأحاول إذاً. آملُ ألا يخونني إحساسي هذه المرة

إليك سندس...

"صديقتي المختلفة ، وأمي الثانية، ونافذي الصغيرة لرؤية
عالمٍ مُختلف في رحم الأمنيات، من بؤرة الأحلام وتحت مجهر
القمر.

صديقتي التي لم يشأ الله أن تُرزق بالأطفال؛ رحمةً منه. وخوفاً
وحكمة من جور ذلك الأب الذي سيُسبُون إليه.

جارتي العمياء التي فقدت بصرها؛ إثر حادثٍ أليم، نتيجة
محاولتها لمساعدة زوجها الخائن الذي يملك وجهًا متجهماً،
وعينان يملئهما السواد، والإفراط، ذو الرائحة التنة.

جارتي الجميلة، التي أُغتصبت مشاعِرُها، من قبل ملاذها
الأرعن، رغم أنها كانت تمتلك نهرًا لا ينضب من الحب،
ولكنه بات جافاً ذات ألم. ونمت عوضاً عنه الطحالبُ،

والأشواك؛ والسبب يعود لذلك الأحق الذي استغلَّ ضُعف
قُدَرتها، وبات يسخر منها دون كلل.

جارتِي الجميلة، رُغم بشاعة ملاحمها كما تدعي، لشدة ما نعتها
زوجها الأحق بالقبيحة، باتت تصدق ما يقول متناسيةً مرآتها
قبل أن تفقد بصرها.

صحيحٌ أنها كانت كبيرة في السن، إلا أن بداخلها طفلة
صغيرة، دُفِنَت باكرًا.

كانت تراني نافذة لعالمها الصغير، وكنت أراها جنتي،
وملاذي الكبير، الذي كنت ألوذ إليه؛ في كلِّ مرةٍ يراودني
شعور بأن قلبي يقطر أسى.

كلما أرادت أن تفر من مقلتي دمة؛ كانت تسارع
بمسحها بقولها كُفِّي عن الإسراف بلؤلؤ عينيكَ، فلا شيء
يستحق ذلك.

كانت تشعر بي، دون أن أحدثها.

كانت تمسح على قلبي باستمرار لتعلو شفتي ابتسامة عذبة عوضاً عنها.

كنا نأكل الكثير من الشوكولا، ونتلذذ بها فقط؛ لشعورها بالسعادة في كل مرة أمسح فيها بقايا الشوكولا المتمردة تحت شفتيها؛ لتبتسم بشغب مريح.

جربنا صناعة الآيس كريم. ولكن كنا نفشل في كل مرة. كنا نصنع الألعاب ونهوى الرعب فقط لنشعر بالسعادة. كنا كفراشات الأحلام. نمتلك العصا السحرية، والمكنسة الطائرة. تارةً نضحك بجنون، وتارةً أحكي لها قصص الأميرات الحسنאות؛ لنبكي في كل مرة حزينة؛ ليغزو اللون الأحمر وجنتيها الجميلتين، وأنفها الصغير.

كنا نحلق عالياً بأحلامنا لنستقر في كف السماء، كنا نستمع إلى
الكثير من الأغاني والموسيقى والراب أيضاً.
كنا لا نملك العقل تارة أخرى لشدة نوبات الجنون، التي
تدخلنا في أغلب الأحيان.
ولكن أُمي حزينة جداً..

هي حزينة متقوسة الشفتين ذابلة العينين. في كل مرة تتذكر
فيها حديث زوجها: (لقد أصبحت عجوزاً غبراء لا تملكين
الأطفال. ولتعلمي بأن الحادث تسبب بتشويهك بشكل مقزز
أكثر. أغربي عن وجهي الآن ليتك لم تنقذيني لترحميني من
رؤية هذا الوجه مرة أخرى) لتدخل بعدها في نوبة بكاءٍ مريرةٍ
دون توقف..

هي لا ترى ما أراه..

إني أرى انعكاس جنة الله فيها، سماء صافية تساقطت النجوم
فيها على هيئة شامات لتزيدها تألقاً وجمالاً.

حزينة أنا؛ كوني كنت صغيرة لا أجيد نظم الغزل فيها.
بت أحلمُ دوماً أن أكون كاتبةً أنيقة؛ لأتحدث عن جمالٍ تُكنّه
في أبسط تفاصيلها. كتلك الخطوط التي تتوسد راحة كفيها،
وتلك الندبة تحت حاجبيها. لقد نسيت بأنها تمتلك عيني
خضراوان، ممتلئتان بنبذ يغزو القلوب.

لها ابتسامة خجولة، مفعمة بالحياة، ونابضة بالمستحيل،
وحياءٌ طاغٍ؛ رغم كبر سنّها الذي يصدع في سماء قلبي. لطالما
كانت وجهًا للسعادة رغم أحزانها.. كانت صورة لضخامة
تلك المرأة الجبارة الصابرة المثابرة.

اغتاها الأسى، حاربتها الظروف، صدتها القلوب، واحتضنها
قلبي الصغير والموسيقى والزهور. ولكن الفرح لم يدم.
أصبت بالوجع ذات فقد. تزلزل فؤادي حطمت آمالي. زرع
الشوك أمام ناظري.. فقدتها ذات وجع ذهب لتتركني أعاني
المشقات، لم أجد ذلك القلب الحنون، ولا تلك النظرة العذبة،
لطالما تساءلت معاتبة لماذا لم تؤخِذ روح زوجها بدلاً عنها.
تفجرت براكين الدموع لفقدانها، إلا أنني لم أجدها إلى جوارى
كما كانت كل مرة.

أحبها جداً. ليتها تعود لأقبل عيناها.
نامي قريرة العينين فها أنا الآن أكتب لأجل رُوحك الطاهرة.
طويت تلك الورقة، احتضنتها باشتياق مميت. وقمت
بوضعها بداخل الصندوق لتكون الرسالة الثانية.

(٣١)

قرب موعد ولادتي كثيرا. وأنا أشعر بتعب لقد علمت بأني
أحمل في أحشائي توأمًا.

انتقلت للعيش في حي آخر، جميل جداً. في محاولة مني
للابتعاد عن كل شيء.

استيقظت من شرودي؛ على ألم مفاجئ اعتصر أحشائي.
شعرت حينها وكأني قد بدأت في الاحتضار.

لا شك أنني سأضع جنيني في أية لحظة. حاولت التماسك قدر
الإمكان، ارتديت عباءتي؛ استقلتُ سيارة أجرة لتوصلني
إلى أقرب مستشفى. وبعد صعوبة بالغة استطعت الوصول
أخيراً.. أخبروني بأني بحاجة إلى عملية قيصرية سريعة. لأن
الولادة الطبيعية قد تبدو خطيرة جداً عليّ، وقد تسبب في

وفاتي. وطلبوا مني أيضاً التواصل مع أحد أقربائي ليكون إلى
جواني إن اشتد الخطر عليّ، أو وُجدَ ما يدعو للضرورة.
لم أكن حينها أدرك ماذا علي أن أفعل؟

وبمن يجب عليّ الاتصال؟

فأنا أصبحت وحيدة لا أمتلك الأصدقاء المقربين.

لم يكن أمامي سوى الاتصال بكنان؛ لأنه الوحيد الذي
سيستطيع مساعدتي؛ والوقوف إلى جواني دون تدمير أو
ضجر.

حاولت محادثته، ولكنه لم يكن ليحيب على اتصالي. لا بد
وأنه مشغول.

كان الألم يدمر ما تبقى من أنفاسي الأخيرة. لم أعد أستطيع
التحمل أكثر من ذلك. لا شك أن الموت قد اشتاق لرائحتي
لا محالة. كانت دموعي تتساقط كشلال من الوجع.

(٣٢)

في ذلك الحين سمعت الممرضة تصرخ سنفقد المريضة)
أخبرهم أن يقوموا بتجهيز غرفة العمليات حالاً). ابتسمت
وسط تلك الدموع. كنت على ثقة بأن كنان لن يتركني أتجرع
ضخامة الألم بمفردي.. لطالما كان سنداً لي؛ في السراء
والضراء محتضناً وجعي، وغضبي رغم صدي، وهروبي منه.
غفوت بعمق تحت تأثير المخدر الذي تم حقني به. وأنا أسأل
الله أن أحيا لأرى طفليّ.

ولم أكن على دراية بأن كنان لم يكن يعلم بعد؛ بأني طريحة
المشفى.

لقد تم التواصل معه بعد دخولي تلك الغرفة. ليأتي مهرولاً
من تلك المدينة المجاورة؛ دون أدنى تفكير منه حتى.

لقد أدخلوني تلك الغرفة بعد أن صرخ بهم أحد الأطباء،
الذي كان يعمل هناك. لمعرفته الشديدة بالخطر القادم؛ إن
تركوني دون عمل أي شيء لإنقاذي أنا وطفليّ.

(٣٣)

عند انتهاء تلك العملية، ذهبت الممرضة-المسؤولة عن
حالتي - لتحدث الطبيب الذي أشرف عليّ.. لتراه يشدو
بدموعه دون توقف.

- معذرة منك دكتور، لقد تركت الفتاة هذه الرسالة قبل أن
تخضع للعملية. وأخبرتني أن أعطيها للشخص المرافق لها.
ولكن دوامي هنا قد أشرف على الانتهاء كما تعلم. هل لك
أن تعطينه هذه الأمانة بدلاً عني أرجوك؟

تحدث وسط دموعه: لا تقلقي بالطبع سأفعل.
مقاطعاً نفسه: ومن الذي تبقى لها لتكتب تلك الرسالة له،
وها أنا لا أجد أي أحدٍ في الانتظار.

جرفه الفضول العارم ليقرأ محتوى تلك الرسالة فتحها ويدها
متوترتان وقلبه يضرب طبول القلق:

صديقي كنان تحية زهرية وبعد:

شكراً لك يا سند هذه الحياة، ومظلتني الصغيرة، التي حمّنتني
من تقلب هذه الطقوس الغريبة، المليئة بالملوحة، والألم.

شكراً لأنك كنت زهرة جميلة نمت على ضفة تلك الهضبة
القريبة مني. اعتنِ بنفسك جيداً.

كُتبت هذه الرسالة وأنا أشعر بألم الوحدة واليتم.

أرجوك طفليّ أمانة لديك. اعتنِ بهما جيداً.

لا تتركهما يشكوان قساوة هذه الحياة بمفردهما، لا تتركهما
زهرتان صغيرتان على حافة هذا الزمان ليجرّفهما سيل الألم،
الذي جرف والدتهما إلى مستنقع الدموع.

لا تتركهما لوالدهما مهما كلفك الأمر.

هذه وصيتي لك، إن لم يشأ الله أن أحيا من جديد، اعتنِ بهما
أرجوك، لا تخذلني كما خذلني الحب من قبل.

هنالك رسالة في صندوقي الصغير بداخله رسالة إلى صغيرتي تاج. اعطها إياها في وقتها المطلوب وأخبرها بأن تسامح أمها التي لم تستطع أن تحقق أي أمنية منها. وطفلي الجميل دلّله كثيراً كن أنت والده وظهره، أثق بأنك ستفعل ذلك. اعتنوا بأنفسكم كثيراً.. أحبكم . شمس...

ليدخل في تلك اللحظة كنان. وقد انتابه شعور بالفقد، والوجع المدمر للفرح. - ماذا هناك؟ هل لك أن تطمئني عن حالتها؟ ولكن ما الذي تفعله أنت هنا؟!

أجاب وسام- ورأسه قد امتلأ بالدوار، وعيونه مغطاة لا يرى أمامه سوى الضباب؛ أسرع محتضناً كنان وهو يبكي كطفل أصيب بالوجع من تلك الكلمات، التي نزلت كأْسهم من سقر إني أعمل هنا. ولم أكن أدرك بأنها هي نفسها شمس. تحدث بوجع: أتعلم كدت أن أخسرها إلى الأبد؛ لو لم أصرخ أمامهم ليدخلوها. كادت أن تذهب كما السراب.

تحدث مرة أخرى بألم واللهجة تملؤها الغرابة؛ علّه أن يزيل القليل من ذلك الشعور. وليدرك حقيقة مشاعر تلك الرسالة؛ عندما اشتعلت نار الغيرة الحارقة في قلبه: أتعلم؟! كانت قد تركت رسالة مع الممرضة ولكنني لم أستطع معرفة لمن تركتها بالضبط؛ قالت بأنه سيرافقها. ولكنني لم أجد أي شخص إلى الآن؟

- نعم إنه أنا، ولكنني كنت بعيداً من هنا ولذلك لم أستطع الحضور مبكراً.

هل لك أن تعطيني إياها لأرى ما الذي تمت كتابته أشعر بفضول حاد؟

- ولكن قبل ذلك أخبرني كيف هو حالها؟ من فضلك؛ وكيف هما الطفلان؟

- إنها بحالة جيدة الآن؛ ولكنها تحتاج للراحة قليلاً لأنها تأملت كثيراً.

والطفلة أظنها بحالة جيدة؛ ولكن الفتى متعب قليلاً ولقد تم إدخاله للحضانة ليكون تحت الملاحظة.

الحمد لله، شكراً لك على مساعدتها نحن مدينون لك بالكثير. أصيب وسام حينها بالدهشة من تلك الكلمات!

ماذا يقصد بكلامه هذا؟! أنسي بأن الطفلين هما ولداي
أيضاً؟!

لا شك بأن الجنون قد استقر في رأسيهما؛ ليفقدا التفكير.

قاطعت شروده الممرضة، وهي تطلب منه الحضور.

- المريضة قد بدأت في الاستيقاظ من العملية.

هل أجلب لها الطفلة؟

- نعم افعلي ذلك من فضلك فقد انتظرت هذه اللحظة كثيراً.

ولكن إياك أن تخبريها عن حالة الطفل؛ إنه في الحضانة لأنه

متعب قليلاً.

- حاضر دكتور . هل هنالك شيء آخر؟

- لا.. تفضلي بالذهاب.

(٣٤)

استيقظت وأنا متعبة جداً.. لم أكن لأصدق بأني سأعيش بعد
ذلك الألم. شكراً لك يا الله. ولكن أين طفلاي؟

دخلت الممرضة ويدها ملاك صغير ذو جناحين ورديين
لاشك أنها فتاتي تاج!

تغورت عيني من شدة السعادة.

يا إلهي إنها أميري الصغيرة. تساقطت دموعي فرحاً من جمال
ذلك الشعور. أحسست أن روحي قد خرجت راقصة من
فرط تلك السعادة. قامت الممرضة بوضعها لتستقر في
حضني. قبلتها باشتياق قاتل، شممت رائحتها. صغيرتي
ذات رائحة الياسمين هنيئاً لي بك يا زهرة الجمال. وضعت
طرف أصبعي على أنفها مداعبة إياها الويل لك إن أتعبتني؛
سأقوم بابتلاعك حينها.

ولكن أين صغيري إذا؟! أخشى أنه قد أصيب بمكروه؟.
سألتُ الممرضة التي كانت تقف أمامي في ابتسامة لم تغب عن
شفتيها.

- ليحفظهما الرب لك لا داعي للقلق. إنه في الحضانة الآن،
ستريه لاحقاً.

- في الحضانة ولم؟! أريد أن آراه حالاً.
لا أستطيع الانتظار؛ سأفقد قلبي إذا لم أراه الآن.
فكرت الممرضة قليلاً.

وأخبرتني بأنها سترافقني؛ ولكنها ستحضر كرسيًا.
أحضرت كرسيًا متحركاً؛ لتأخذني إليه.
عندما وصلت..

رأيت نسخة مصغرة من وسام.

لقد أخذ الكثير من جماله. لتساقط دموعي في ذلك الحين.
كان وسام قد أتى ليطمئن عليه. وحالما رأي تنحى جانباً.
- لم يا صغيري أتيت شبيهاً لذلك الأب؛ الذي تركنا بمفردنا
لننجرف في صعاب هذه الحياة. أتعلم يا حبيبي والدك سيئ
للغاية. لقد تخلى عنكما سريعاً. أخذت تلك الفتاة عقله وقلبه
معاً. ليكون بلا رحمة. أيعقل بأن يكون هنالك أب يترك
زوجته تتجرع مرارة الحياة بمفردها؟ وهو يعلم بأن لا أحد
لها سواه!

الكثير من الشهقات الحارقة - مسحت دموعي بقوة -
تابعت حديثي قائلة: ولكن لا تقلق أنا هنا. وأيضاً يوجد
لدينا العم كنان؛ لقد وعدنا بأنه سيكون إلى جوارنا.
أتعلم إنه طيب القلب؛ ساند أملك كثيراً.

حملته بين ذراعي، وأنا أبكي هامسة بصوت يملؤه الألم:

- صغيري ها أنا الآن أحملك بين أجفاني. ولكن إياك إياك أن
تخذلني عند الكبر؛ سيموت الحب في الفؤاد وستذبل أزهار
الغرام. كن أنت يا حور العيون ولا تكن للذلّ تابعاً ومطيعاً.
وتركته حينها لأعود إلى غرفتي.

رأيت المريضة تنوح بشدة، ضحكت حينها ماذا هنالك يا
جميلة؟

أجابت بفزع :

- ها لا شيء أنتِ أم عظيمة حقاً؛ ولكن أين هو والدهما.
أجبت مداعبة إياها : في قعر جهنم ربها؟ ذهب ليجمع لنا
القليل من الحطب.

وتركتها في شرودها تتمتم

- أيعقل بأنه مات؟! ولكن ما الذي أدراها أنه في جهنم؟!

كيف يجمع الحطب إذا؟!

يبدو أنها تسخر مني.

صرخت قائلة: انتظريني سآتي حالا يا مجنونة.

لا تذهبي بمفردك أنت متعبة.

تفتحت سرائر وسام قليلاً ولكن سرعان ما تذكر تلك

الكلمات، التي اتحدت سوياً لتكون شبحاً سيطارده كثيراً.

(٣٥)

بعد مرور خمس سنوات وفي مطلع سنة جديدة..

- (تاج، تيم) هيا أسرع! لقد تأخرنا كثيراً.

أنت تاج تتمايل بمشيتها التي تسلب القلب.

- أنا جاهزة يا أمي

وقامت بالدوران

- كيف أبدو يا أمي؟ أجمل من تيم صحيح؟!

ضحكت حينها:

- أنت أجمل شيء في هذا الوجود يا صغيرتي المشاغبة. ولكن

تيم جميل أيضاً فقط! لأنه رجُلِي .

أسرع في احتضاني وتحدث بصوته المتلثم:

- نعم أنت حورية يا أمي أجمل من تلك الأميرة، التي في

القصة فهي سمينة وسوداء.

ضحكت حينها هيا أسرع. إن كنان في انتظارنا سيغضب
كثيراً إن تأخرنا.

(٣٦)

اليوم هو يومٌ مميز بالنسبة إليّ.
ها هو حفل تخرجي من دراستي العليا قد أتى وأخيراً.
نعم لقد نجحت في ذلك؛ وحصلت على شرف الامتياز؛ وقد
تم إعطائي شرف تقديم كلمة. استلمت شهادتي وسط
سعادة الجميع؛ ولكنها قد تدفقت أكثر غامرة صغيري
وصديقي كنان. كانت سعادتهم مصداً لقوتي وإلهامي.
صعدت إلى المنصة تأملت ملامحها وتحدثت بسعادة مفعمة
خارجة من عمق روحي:
[ومرت الأيام والشهور التي بزغت في عباءة سنة جديدة
تهدد بالرحيل.
تاركة خلفها الكثير والكثير من الأفراح والأحزان، ومن
الضحكات والدموع أيضاً.

ساحبة خلفها ستارًا من التجارب والنضج. ودعنا سنة كان في مطلعها أحلام كثيرة ورؤى؛ وضعناها نصب أعيننا. قد تحقق القليل منها، ولم يتحقق الأكثر. ولكنها أوشكت على أن تترك لنا مزيجًا من الذكريات فقط؛ وحدها الذكريات التي ستبقى لنا بعد رحيلها. سأودع سنة ودعت من خلالها دارستي بعد مرور أربع سنوات شقية لأبدأ بعدها مرحلة جديدة. سنوات جعلت مني شخصية جديدة؛ وأدخلتني في ذروة الحلم.

التي أشعرتني بأني عظيمة جدًا في عين نفسي. سنة تعلمت منها الكثير. والتقيت بأشخاص يتميزون ببريق سحري خاص تعلمت منهم العميق. أشخاص حرصوا بالألا يلامس مبسمي سوى ابتسامة تصرخ بالسحر والجمال، أشخاص حرصوا بأن يجعلوا مني شخصية مميزة؛ بدعمهم،

وتشجيعهم، ووقوفهم الدائم إلى جوارى. أشخاص تستمد
من عتابهم، وخوفهم، وكلامهم، القوة وأنت في أسوأ
حالاتك.

شكراً لكم حقاً أصدقائي. وممتنه بحجم الجمال]

(٣٧)

وأثناء نزولي من تلك المنصة. سقطت مغشياً عليّ؛ لأستيقظ
في مساء ذلك اليوم. وأنا أشعر بإرهاق شديد، ودوار غريب.
لا أجدني في بيتي الصغير؛ وصغيري حولي قد غفيا من شدة
البكاء.

كانت يداي تحت قبضتيهما وكأنهما يخشيان هروبي.
كنت أشعر بالتعب حينها. ولا أدرك السبب خلف ذلك
الشيء. فقط ما أشعر به هو التعب، ولا شيء سواه. أيقظت
طفليّ ليناما إلى جوارِي. احتضنتهما بخوف من الأيام القادمة.

(٣٨)

بعد يومين من تلك الحادثة فكرت في أخذ طفليّ إلى مدينة الملاهي؛ لمعرفتي الكبيرة شدة تعلقهما بذلك المكان. ولشغفي أنا أيضاً بتلك المدينة؛ لأنّ روحي متعلقة برائحة المكان؛ الذي أسميه جنة الأطفال، والنساء معاً.

أخبرت كنان ليرافقنا أيضاً. ولكنني لم أكن قد أخبرت طفليّ بذلك قررت أن أتركها مفاجأة لهما.

عاد طفلاي من المدرسة يزفان الضجر قبل أن يدخلوا سوياً من الباب.

ضحكت متحدثة: ألا تشعران بالملل من إعادة نفس الحوار كل يوم.

لا تنسيا فقد وعدتاني أن تبذلا قصارى جهدكما لتصبحا
متفوقان. أريد أن أفخر بكما في المستقبل؛ لا تأخذلاني. هيا قوما
بتغيير ملابسكما سنخرج في الحال؛ لقد أعددت لكما مفاجأة.
صرخا في سعادة غامرة: هيسيسيه

(٣٩)

ذهبنا في تلك الرحلة البسيطة؛ لعبنا كثيراً.

كانت السعادة والألفة تحتويننا من كل جانب. كان يوماً جميلاً للغاية؛ أكلنا البوظة، وتسابقنا في تناول حلوى غزل البنات؛ لتترك آثاراً عذبة في فم صغيرتي الحلوة؛ رافضة أن تزيلها؛ ظناً منها بأنها أحمر شفاه بناقي. صعدنا أيضاً على الفرس، وتسابقنا في صدام السيارات، جربنا القطار الخطر الذي كان يعبث بقلبي مع كل مرة.

صغيرتي المجنونة أرادت أيضاً أن ترسم قلباً صغيراً على خدها الزهري. ليتبعها تيم في فضول أيضاً يريد ذات الشيء؛ ولكنه اختار أن يرسم حمامة بيضاء محلقة عوضاً عن القلب؛ لأنه رجل وليس فتاة ليضع القلوب الحمقاء كما قال.

استجبت لذلك عندما شاهدت إصرارهما على التجربة.

(٤٠)

بعد مرور نصف ساعة..

تساقطت قطرات من المطر الحريرية. كنت حينها أجلس إلى جوار كنان نتبادل أطراف الأحاديث عن المستقبل؛ وما الذي أفكر في عمله في هذه الفترة المقبلة. شاهد كنان سعادتي الطفولية بذلك المطر. ابتسمت - حينها - محدثة إياه:
- كنتُ فتاة شقية جداً، ومتعبة أكثر.

أحب ذرات المطر؛ أشعر بأنها نقية حقاً. لشدة سواد هذا الكون الذي أصابه داء مهلك عجز عن مداواة نفسه؛ والسبب في ذلك يعود لأبنائه السيئين.. أشك بأن ذلك الثقب الأسود قد تزايد في الاتساع بسبب قذاراتهم، وسخطهم، وجبروتهم.

أتعلم كنا نعيش في عالم جميل جداً، رابط على خاصرته إكليلاً
من الزهور الفاخرة، و محاط بالعطور، والبخور؛ التي تفوح
من منبر المساجد والبيوت. حتى أنها حوت بداخلها قنابل
من حب؛ عندما تنفجر تضيف ألماً عذباً في سماء ذلك العالم.
كان كل شيء بسيطاً، أنيقاً، مشرقاً.

إلى أن دار الزمان وأصيب عالمنا بلعنة السحر الأسود الذي لا
يزال.

ترسب في وطننا وكأنه طبقة من الجير المتعفنة، حتى أن عقول
ساكنيها أشعر بأنها أصيبت بالشلل. لذلك لا شيء آخر يشبه
نقاء المطر؛ إلا سعادة الأطفال المرتسمة على ملامحهم، قبل أن
تلوث براءتهم؛ بسبب ضجيج العالم المتمحور من حولهم.
انظر كيف أن السعادة قد اكتست وجهيهما؛ وبأن براعم
الفرح قد بدأت في النمو. أتعلم يبدو أن مخزون الفرحة لدي؛

الذي يسببه المطر قد تمت سرقة من قبل طفلي الجميلين، وأنا
سعيدة للغاية بهذا.

هل أخبرك سرّاً؟

لشدة تعلقي بالمطر؛ كانوا ينادونني غيث.

كنتُ أخرج مع والدي في منتصف الليل فقط؛ لألعب وأدور
وسط المطر.

وكنت أبادل الأمنيات مع والدي؛ في كل مرة.

تحدث باستغراب تبادل أمنيات؟!!

نعم. لا تستغرب؛ لقد عشت في طفولتي الكثير من السحر
اللذيذ؛ لقد كان والداي يجبانني كثيراً. كنا نقضي الكثير من
الأوقات الممتعة.

حاولنا سد ثغرات الحزن في حياتنا ليبقى الحب، والجنون،
والسعادة هم الأعلام الباقية المرفرفة على سطح منزلنا.

هل أعلمك لعبة تبادل الأمنيات؟

- بالطبع سأكون سعيداً.

- حسناً أنظر إلى السماء الآن؛ وقم بإغلاق عيناك وتمنّ أمنية

واحدة هيا. وأنا سأقوم بذلك أيضاً.

قمنا بذلك الشيء . تتم كل منا بأمنيته؛ لنفتح عينينا بعد ذلك.

تحدثت بسعادة:

- هيا أخبرني ماهي أمنيته سريعاً؟

- لن أفعل قبل أن تقومي أنتِ بذلك؛ لا تنسي بأن مفاتيح

اللعبة بحوزتك أنتِ.

تحدث بعد صمت طويل وقد اكتسى وجهي اللون الأحمر:

- تمنيت أن تكون إلى جوارى دائماً وبأن لا نفرق.

رأيت ابتسامته أشرقت كنور لم يسطع على تلك المدينة النائبة،
التي لا يوجد بها سوى الدخان من قبل.

حاولت إضاعة الكلام في تلك الأثناء لشعور مؤلم اكتسحني
وهو التهور الغبي.

- هيا أخبرني ماهي أمنيتك؟ لاشك بأنك تمنيت أن تسافر إلى
إيطاليا؟

تحدث بلهجة انتصار: لا فقد أخطأت هذه المرة؛ خانتك
فراستك في معرفة الأمنية الصحيحة. (فقد تمنيت أن تتحقق
أمنيتك مهما كانت).

- يا إلهي! ما هذا الشعور؟!

كلمات رغم بساطة تكوينها إلا أنها تستعمر القلوب. كلمات
بسيطة قد تُحدث في قلب أحدهم صدىً تزلزله، تحرقه،
تستبدده. أو ربما قد تكون طوقاً لنجاته من شباك الحزن،

والأسى، والدمعات.. قد تكون كلماتنا عبارة عن جسر من
السعادة، والأمان لأحدهم.

وقد تكون درعاً وقائياً من الكثير من العثرات..

لا أحد يعلم قيمة الكلمة إلا مَنْ تذوقها بحب، و استقبلها
بشغف، وأرسلها بصدق.

كل كلمة قد تكون حياة، وأملاً. وقد تكون خطوة لبدء
مستقبل جديد، أو تغيير لواقع أليم.

(٤١)

بعد مرور ساعة قررنا العودة إلى المنزل فقد أرهقتنا الرحلة كثيراً.

كان الطفلان سعيدان للغاية؛ كانت السعادة واضحة جداً على ملامحهما. قرّرا التسابق إلى الخارج. ذهبتُ مسرعةً خلفهما خشية أن يصابا بأذى.. ولكني لا أراهما!!

بدأ قلبي بالارتجاف.. يا إلهي ماذا أفعل؟
لم أعد أستطيع التفكير في ذلك الوقت. كانت دموعي تتساقط كشلالٍ مُنهمر.

أصرخُ: تاج، تيم. أين أنتما؟
لا تجعلاني أُجنّ. هيا يكفيكما عبثاً بأعصابي، لن أوبخكما، أعدكما.

وأنا في حالةٍ من الفزع الشديد. لمحت طرف فستان تاج!

أسرعتُ واحتضنتها بشدة.

- حمداً لله، حمداً لله.

إلى أين ذهبتما؟ لقد أخفتماني كثيراً.

سمعت شهقاتها تتعالى. ما بها يا إلهي؟ ولكن أين تيم؟!

تاج أين هو تيم؟! تحدثي هيا!

كانت تبكي مشيرة بأصبعها الصغيرة إلى الأمام.

لأراه بصحبة وسام يشده من ذراعه بقوة.. صرخت حينها بكل قواي.

- أترك صغيري، يا هذا هيا، أترك صغيري.

ضحك بطريقةٍ مستفزة، حقيرة؛ ليتحدث بطريقة تملؤها

الدناءة: يجب أن أتأكد أولاً بأنه ابني أنا، وليس لشخص

آخر؟

أسمعتم ماذا قال؟!

في ذلك الحين أتت سيارة مسرعة؛ لتصطدم بجسدٍ صغيرٍ -
يعود لتيَم - مخلّفةً خلفها جثةً نقيّةً لا ذنب لها.
كانت الدماء قد انتشرت حوله في فزع.. سقطتُ مغشياً عليّ.

(٤٢)

أخذنا كنان - سريعاً - إلى المستشفى.

صغيرتي قد أصيبت بصدمة رعبٍ جعلتها متمسكة بكنان طوال ذلك اليوم؛ تخشى أن يذهب ويتركها بمفردها. اقترب وسام منها في حذر شديد، محاولاً استعطافها. ولكنها صرخت بوجهه قائلة: اذهب من هنا أيها المجرم.

سأخبرُ الله بما فعلته بنا؛ ليقوم هو بمعاقبتك، ورميك للوحوش.

صَعَقَتْ تلك الكلمات البريئة عقله؛ يجثو على ركبتيه؛ كيف لفتاة صغيرة أن تقول كلاماً يرسل سهاماً من شهب.

(٤٣)

عندما وصلنا إلى المشفى ..
أُدخِلَ تيم إلى غرفة العمليات على الفور.
وتم أخذني للعناية.
استيقظتُ بعد مرور ساعتين ..
ذهبتُ مسرعةً كالمجنونة؛ باحثةً عن صغيري.
لم يخرج بعد من تلك الغرفة.
لابد أن الحادث؛ كان مؤثراً للغاية.
بعد مرور ساعتين - أيضاً - خرج الطبيبُ مُنكساً رأسه؛
ليخبرنا: بأننا قد فقدناه؛ لأن الضربة كانت قوية جداً على
جمجمته. لم يكن يصدر مني أيُّ صوتٍ سوى التحديق في
الفراغ فاقدةً للوعي، والإحساس بمن حولي؛ ومتعبةً من كلِّ
شيء. لأسقط بعدها - وللمرة الثالثة - في حزنٍ عميقٍ، انتشرَ

بقوةٍ في أجزائي ليعيقَ وجودي؛ وذهبَ بي إلى وراءِ نجومِ
ذلك المساء.

لأستيقظَ هذه المرة ولكن بعد مرور يومين من تلك الحادثة.
لأجد نفسي أتوسد سريراً أبيض، ومكاناً يبدو أنه في
مستشفى، وأنبوبة المغذية المحقونة في أوردتي طالبةً مني
الاستجابة لها منذ زمن. وبجانبي أميرةً صغيرةً، قد غفت من
شدة بكائها، وشظايا دموعها متخثرة على يديّ.

دخل بعدها كنان: حمداً لله على سلامتك وعظيم هو أجرك يا
شمس، سيكون من فتية الجنة بإذن الله.

ادعي له بالرحمة.

تحدّثتُ وأنا في حالةٍ بكاءٍ شديد: سأدعو، ولكن أخبرني: ما
هو الذنب الكبير، الذي صنّعه لِأُحرَمَ من لذة السعادة
والهناء، وحياةٍ خاليةٍ من الأوجاع؟! هل ذنبه أنه أراد أن

يصبح رائد فضاءٍ ذات يوم؟ أم أن تلك الحمامة المرسومة على
خده قد أساءت مقصدها؟!

ذهب نقياً كما أتى.. لقد اشتقت إليه حقاً.

أخشى على تاج كثيراً.. لم يتبقَّ لنا سوى بعضنا، أخشى أن
أموت من الألم!

تذكر كنان حينها حديثه مع الطبيب:

- ما السبب خلف سقوطها مغشياً عليها بين الحين والآخر؟
الأمر قد يدعو للقلق الشديد حقاً.

إنها متعبةٌ جداً؛ ويجب أن تخضع للعلاج على الفور، وإلا
ازدادت حالتها سوءاً، ولن نستطيع حينها المساعدة؛ حاول
أن تساعدنا.

رفعتُ نبرة صوتي لأن كنان لم يكن يسمع ما الذي أهذي به.
فاق من شروده بطريقة مرعبة:

- هل تشعرين بشيء؟ حدثيني لا تخفي عني.
- عقدتُ حاجبيّ وقد بلغ التوتر عندي النصاب.
- ماذا هنالك أنت؟ ما الذي تخفيه؟
- لتبدو بكل هذا القلق. هل أخبرك الطبيب شيئاً سيئاً؟!
- لا. لم يخبرني أيّ شيء، هيا أسرع في الشفاء؛ فتاج قد أصيبت بحالة نفسية، تخشى كل الأشخاص، وتفزع في أحلامها، وتبكي باستمرار.
- يا إلهي، احم لي صغيرتي.
- أخبرني الطبيب أنه يمكنني الخروج الليلة.
- هذا جميل جداً، لقد شعرت بالضجر من هذا المكان.
- ولا تنسَ عيد ميلاد تاج وتيم في الغد؛ يجب أن نستعدّ جيداً
- لذلك اليوم. عليها أن تنسى ما حدث ولو قليلاً.

(٤٤)

خرج كنان؛ ليتم تلك الإجراءات،

وأنا قمت بلملمة حاجياتي.

وفي تلك الأثناء وقفت أمام المرأة لأرى شبح امرأة أشك

بأنني أعرفها جيداً؛ امرأة لا تشبهني. ذات بشرةٍ شاحبة،

وعينان متورمتان، وسواداً غريباً قد أحاطتهما من جديد.

(٤٥)

كانت تلك المواقف تأتي كصدمات كهربائية موجعة جداً؛
 الواحدة تلو الأخرى. كنت أشعر بأن روحي تُنتزعُ مني في
 كل مرة. كاد قلبي أن يقف لآلاف المرات. تفتّت بقايا الحياة
 بنظري، وذبلت زهور الجمال، وأعلن القمر خسوفه؛ لتكون
 الحياة مُرّةً مظلمة؛ لترتدي زي الحداد الأسود فقط، ولا شيء
 سواه.

ولكن كان لكل تلك المواقف أثرٌ عميقٌ بداخلي. صحيحٌ أنها
 قد تركت ندباتٍ غائرةً للغاية ولا يمكن أن تُرَمَّم، إلا أنني
 استطعت أن أزرعَ الزهور الأنيقة مكان تلك العثرات؛ حتى
 أعود إلى الحياة من جديد.

كِدْتُ أن أموت في كل مرة، ولكنني أحيَا من جديد. أشعر
 بأني أنشط من امرأةٍ ضعيفةٍ لامرأةٍ أقوى، وأصلبَ من

جديد، وكأنها ولدت في تلك اللحظة؛ وها أنا أعود مرةً أخرى. ولكن قبل ذلك يجب عليّ أن أنتزعَ روحه؛ لأخذَ بثأر ولدي ولن أتراجع عن ذلك مطلقاً.

(٤٦)

اليوم هو ميلاد صغيرتي الجميلة، وقطرة من العسل المصفى؛
التي لم يتبقَّ لي في هذه الحياة سواها.
كان يوماً ملائكياً زهرياً مفعماً بالفرح. كان هنالك الكثير من
الأطفال.

كان نظري يتبع تاج باستمرار لأرى تلك الابتسامة الطفولية،
البريئة، الخالية من شرور البشر.
يبدو أنها قد تعلق بكنان كثيراً؛ أرى السعادة ترسم على
وجهها؛ كلما كان إلى جوارها.

لا بدَّ أنه - وحده - من سيعتني بها عند ذهابي من قارب هذه
الحياة. انتهى عيد الميلاد لتسعد صغيرتي بالكثير من الهدايا
الجميلة. تبدو الحياة بسيطة جداً بالنسبة لها، وقد تختصر
سعادتها في قطعة حلوى ودمية.

ليتني أستطيع أن أعود طفلة؛ ليكون كل همي هو قطعة الشوكولا، التي سأحصل عليها إن أنا أنجزت فرضي المدرسي.

احتضنتها بشدة. وأخذت أشتم رائحة شعرها، المنسوج من رحيق الزهور، التي تأخذني بعيداً، حيث آلة الزمن، التي تعيدني لحديثنا الصغيرة، التي كنت أمكث بها كثيراً مع والدي المهووس بقراءة الكثير من الكتب، والمدمن للقهوة والأغاني القديمة لفيروز، وصباح وعبدالحليم.

أمسكتُ خداها؛ وأخذت أتأمل عيناها الدافئتان. تحدثُ بهمسٍ بالقرب منها وهي نائمة كالملك بحضني:

صغيرتي استمعي إليّ جيداً. اعتني بقلبك كثيراً. كوني طاهرة نقية كذرات الثلج.

إياك أن يعبك بقلبك أحد. كوني قوية، جبارة، لا تُكسر أبداً.

اجعلي من ذاتك امرأة لا تُهزَمُ أبداً.

لن تستطيعي فهم ما أقوله الآن، ولكنك ستفهمينه ذات يوم.

قبلت عيناها ووقعت في وحل نوم غريب.

(٤٧)

لم أستطع النوم كان الأرق ضيفي في تلك الليلة.
وكانت الأفكار تتوارد إلى مخيلتي باستمرار.
لقد فكرتُ بطرق انتقام كثيرة؛ قد تشفي غليلي.
وأظن أن وقت ذلك قد حان؛ يجب ألاّ أتأخر أكثر من ذلك.
يراودني شعور بأنني لن أعيش كثيراً. ولكن - بالرغم من كل
شيء - لم يكن قلبي ليقوى على أن يراه ضعيفاً، أو مهاناً رغم
كرهي الشديد له. لقد فقدت عينيّ بسببه (جدي و طفلي)
اسودّ عالمي، أصبحتُ بلونين: أبيض وأسود فقط.
خيمت الأشباح على حياتي، وفرت الألوان من كوكبي.
ولكنني سأدوس على قلبي لأمضي في الأخذ بثأري مهما
كلفني ذلك.

(٤٨)

في صباح اليوم التالي أخذت تاج إلى المدرسة. لأذهب بعدها في جولة استطلاعية لأستكشف حياة وسام المخفية. ذهبت حيث مكان عمله. تسللت - دون علمه - لغرفته في ذلك المستشفى.

كنت أعيش في توتر حادٍّ؛ مخافة أن يكشف سرّ وجودي، وضحكت من كوني أشعر بالجنون؛ وكأني أبحث عن القاتل في مدينة نيويورك الغريبة عني. حاولت التماسك، والهدوء؛ كي أستطيع التفكير بطريقة مثالية، لا تجعلني أبدو سخيفة. مرّ الكثير من الوقت..

الكثير من المرضى يتزاحمون في الدخول والخروج. تارةً أشعر بالسعادة لرؤيته سعيداً، وتارةً أبكي، وأثر دموعي من ألم

الحزن. عمله صعبٌ جداً. يتحمل أوجاعاً فوق أوجاعه.
ولكنني أظنه السبب الأقوى لجعله صلباً، غير مبالٍ.
أتاه اتصال. شككت أنه من ليلي. رأيته يجيب وملامح وجهه
حزينة جداً، وكأنه لا يريد أن يحدثها مطلقاً، ولكنه مجبر على
فعل ذلك.

سمعته يقول : حسناً، سآتي على الفور، لا تقلقي.
وضع رأسه بين يديه مناجياً: إلهي أنت وحدك العالم بما حولي
، اختر الخير لي ولن أتدمر مطلقاً؛ أعدك يا الله.
خرج من تلك البوابة. ولكنني صُدمتُ من كثرة حب الناس
له.

غزت رأسي الفوضى. ما بال جميع الناس يحبونه هكذا -
مرضى، وعمال وأطباء- إذاً ما الذنب العظيم الذي ارتكبته
أنا؛ ليواجهه حبي بكل تلك الوحشية المدمرة. استطعت

الللحاق به. وأخيراً عرفت المكان الذي يعيش فيه. انهمرت دموعي، وكدت أفقد وعيي حينها. البيت هو ذاته الذي تمنيت أن أعيش فيه مع وسام؛ لأنه يمتلك حديقة صغيرة وأرجوحة جميلة.

لقد أخذت ليلي كل شيء جميلٍ مني. استطاعت سرقة حياتي، وسعادتي، ومزقت آمالي، ولم تكتفي من كل ذلك ولا أعلم لماذا؟

لم أعد أستطيع الوقوف في ذلك الحين. استقلت سيارة أجرة لتعيدني إلى بيتي الصغير الخالي من معاني الحب. هنالك القليل من نور الحب، الذي يصدر حين تبدأ تاج بالعبث في محيطه؛ هنا فقط أجد القليل من لذة الحياة.

(٤٩)

في اليوم التالي، كنت قد عزمت على الذهاب إلى بيت وسام عليّ أن أكتشف السرّ المخفيّ في ذلك البيت؛ ولأفكّر بطريقة صحيحة للانتقام.

استيقظت- وجوريتي محتضنة إياي ترفض أن تتركني- احتضنتها بشدة فهي وحدها من تجلب إلى قلبي القوة العميقة، التي أحتاجها لمواجهة سواد هذا العالم. عندما حاولت الاستيقاظ كدت أن أقع. اللعنة! أصبح الأمر مخيفاً للغاية يجب علي الذهاب إلى الطيب لمعرفة السبب في ذلك.

ذهبت للمشفى المجاور لمنزل وسام أجريت الفحوصات اللازمة؛ وأخبروني: بأن آتي في مساء اليوم أو الغد.

(٥٠)

عندما وصلت إلى بيت وسام. لمحت امرأة ذات ملامح
 وشكل غريبين - تبدو كأنها مشعوذة - تُحدّث ليلى بطريقة
 غريبة. حاولت الاقتراب - قليلاً - حتى يتسنى لي سرقة
 القليل من ذلك الحوار؛ عليّ أن أجني شيئاً من مجيئي إلى هنا.
 ولكنني فوجئتُ بصدمةٍ كانت قاضيةً بالنسبة إليّ. بدأت تلك
 المرأة في تهديد ليلى بأنها ستكشف ذلك السر للجميع. لم ألمح
 نظرة الخوف تلك في عيون ليلى من قبل؛ وذلك ما يدعو
 للخوف حقيقة. كدت أشعر بالاختناق وأنا أحاول التفكير.
 كيف سأستطيع كشف ذلك الأمر الذي يحيكانه؟ فأنا لم
 أستخدم كيدي من قبل. لتتسرب كلمات كانت هي المنفذ
 المؤقت لبعض الشيء في هذا الوقت لإشباع فضولي.
 - لن أعطيك هذا قبل أن تكملني نقودي.

وإن سألني أي شخص عنه فسأجيبه سريعاً؛ ودون تفكير هل سمعتِ هذا؟.

ذهبت تلك المرأة؛ لتترك خلفها امرأتين، كلُّ لها أفكار تصارعها، وتبحر فيها.

أغلقت ليلي الباب بقوة، حتى شعرت بأنه قد يسقط. وهذا ما هو إلا دليلٌ لعمق ذلك السر، الذي يخفيانه على الجميع. حاولت اللحاق بها وأنا أفكر في خطة لمعرفة السر. كنت أشعر بالتوتر والقلق الشديدين.

(٥١)

أوقفتها.

- مرحباً سيدتي هل لي بالقليل من وقتك أرجوك؟

أجابت وهي تشتاط من الغضب:

- ماذا هناك. هل أتيت لتعكير مزاجي أنتِ أيضاً؟

- لا لم أكن أقصد ذلك. فقط أردت إعطائك النقود؛ لقد

وجدتها ليلى في خزانة زوجها.

وتخبرك متوسلة أن تعطيها الأمانة فهي بحاجة ماسة إليها

الآن.

- ومن أنتِ؟.

- أنا.. نعم أنا ابنة خالها، هيا أسرعي فالشمس حارقة وأنا

بدأت أشعر بالتعب.

- حسناً حسناً خذي هذا.

انصدمتُ بحجم ذلك الشيء.

- ما هذا؟

- ألا تعرفي؟! ولكن أنصتي إليّ: عليك أن تخبريها جيداً. يجب عليها وضعه في أكثر شيءٍ يصاحبه. كي يكون مفعول ذلك السحر سريعاً وقوياً أيضاً.

أُصِبتُ بدهشةٍ جمّدت أطرافي، وزادت من خوفي، واضطرابي.
يا إلهي!

ما الذي أصاب الفتاة؛ لتصنع هذا الشيء؟!!

ما السر الكبير الذي تخفيه خلف هذا الشيء؟!!

بدأت الأفكار تتدفق إلى رأسي، والهواجس تحاربني.

لم أعد أستطيع الوقوف أكثر فسقطت أرضاً.

(٥٢)

استيقظت في ذلك المستشفى لأرى تلك المرأة المشعوذة،
 ووسام إلى جوارى. فقد قامت تلك المرأة بإسعافي، وصادف
 ذلك وجود وسام في ذلك المشفى، فقرر الاعتناء بي. لقد
 لمحت البؤس في عينيه، لا بد أنه متعبٌ لحدٍّ كبير، متعبٌ
 لدرجة أنه لم يعد وسيماً كما كان سابقاً.

تحدثت تلك المرأة وهي تعطيني ذلك الحجاب الذي يحتوي
 على السحر:

- انتبهي له لن نستطيع عمل حجابٍ آخر. أظن أنك تعلمين
 الصعوبة التي واجهناها من أجل جلب عينة من دم زوجها.
 لمحت خوف وسام، ورغبته الشديدة في معرفة السر؛
 ووجدتها فرصة للانتقام.

لن أترك هذه الفرصة تتسرب من بين يديّ. بدأ كيد النساء الحاقداً في الاشتعال لديّ، وكأنهم قد قاموا بتبديل قلبي ليصبح حجرة معتمة من الرماد ذات صلابة وسواد. كل ما أردت في ذلك الحين هو أن أراهما منهارين، ومنكسرين. كما رأياني.

امتلاً قلبي بالنار التي ستحرقهم؛ لكي أرى الدموع والأسى يملآن ملامحهما. تحدثت متعمدة:

- المعذرة منك فقد نسيت حديثنا أعيدي لي الحديث من فضلك أرجوك ستقوم بمعاقتي إن لم أخبرها.
رأت ملامح الرحمة في عينيّ، فقررت أن تخبرني، لقد نجحت في أول كيد.

- استمعي إليّ جيداً إذًا. يجب عليها أن تستخدم هذا الحجاب في أكثر شيءٍ يستخدمه زوجها أظن بأنه طيب؛ يجب اختيار موقع صحيح حتى لا يكشف سرها.

- تقصدين الحجاب الذي يحتويه السحر، أليس كذلك؟

- نعم هو. وخفضي من صوتك قليلاً لا يجب أن يُسمَعَ حديثُنا.

تعمدت قول ذلك فقط لأرى ردة الفعل لدى وسام، الذي رأيته قد جلس بعنف على ذلك الكرسي، والذي يريد فقط مفتاح ذاك السر، ولكني لم أبخل في إعطائه بالطبع.

- لو سمحتي هل لك أن تتصلي بيلي من فضلك؟ كي تأتي إلى هنا حالاً.

- لن تأتي لا داعي أن تتعبني نفسك، إنها امرأة سيئة للغاية؛ لقد وضعت ثلاثة أسحار لزوجها. أتعلمين جعلته يكره

زوجته السابقة. ويتزوج بها دون أن يرى خيانتها لها. وأن يكره أطفاله. وهذا السحر الأخير يجعله يبدو كالمجنون الأحمق؛ لا يفقه شيئاً؛ فقط لتأخذ نقوده وتصرفها في شراء المخدرات والكحول.

هنا أنا بدأت في الصراخ بشكل هستيري غريب فقط رغبة عارمة اجتاحتني لتجعلني أصرخ بذلك الشكل، زاد العالم اسوداداً. في ذلك الحين هربت تلك المرأة خوفاً أن يمسك بها أي شخص.

لم يحرك وسام ساكناً بدأ دوران العالم أمامه، يشعر بالغضب، والاستغفال، يشعر بالغباء.

كيف لم يفكر في ذلك من قبل؟.

بدأ يضحك بطريقة غريبة هستيرية تدعو للفرح.
دخلت الممرضة لتعطيها المهدئ، فغاص في اليقظة.

(٥٣)

ظهرت نتائج التحليل لأُصْدَمَ بخبر مرضي الخطير؛ والذي
قد تعدّا مراحلهُ الأولى؛ منذراً بقرب وفاتي..

صحيحٌ أنني سعيدةٌ الآن لأنني أنتقم من جميع من حاول
تدميرِي. لقد سمعت أن وسام عاد إلى منزله؛ ليرتكب
جريمة شنيعة بحق ليلى. ليتم مكافأته بالسجن، والذي
سببت له حالة نفسية تستدعيه لزيارة طبيبٍ نفسيٍّ بين الفترة
والأخرى.

كنان، حصل على بعثة عمل ممتازة في إيطاليا. واستجاب لها
بعد أن عجز في إقناعي بالزواج منه.

وها هي فتاتي الصغيرة تاج كبرت لتصبح طالبة في مجال
الطب.

و أنا شمس تلك المرأة القوية التي حاربت الجميع؛ ولكنها
فشلت في محاربة المرض.

تكتب آخر سطور لها في هذه المذكرة؛ قبل دخولها لغرفة
العمليات، التي لا تعلم ما الذي ستخبئه لها من مفاجأة.
وصيتي أن أكمل ما بدأت هنا عند خروجي.

النهاية

مرحباً من جديد. وللمرة الأخيرة..

أصبحت الآن امرأة ناضجة، قوية، طموحة؛ لا تُكسر بسهولة.

بدأت ميلاد حياتها من جديد.

لم يكن للحياة أن تغير حقيقة كوني وحيدة في هذا الكون، رغم خطوبتي من رجل مجاهد أحببته كثيراً منذ الصغر، بدون علم والدتي.

آخر ضجيج رسالة وصل لي منه منذ خمسة أشهر وكان محتواها:

تاج ... أكتب لك هذه الرسالة، وأنا في غمرة الشوق لرؤية عيناك الفاتتان، اللتان تعيدان مجرى الدم النابض في الفؤاد، ولكن ما عساي أن أقول.

أتعلمين يا صغيرتي أنّ حبكِ هو أظهر شيءٍ في هذه الحياة
البائسة، وبأن الحب والحرب صديقان متباينان.
ولكن إياكِ ..

إياكِ أن يُصيب قلبك الحزن ذات بعد، وها أنا أعدك - يا
حبيبة القلب - أن أدافع عن حبك كما هو حالي الآن، وأنا
واقف على مضمار القتال في وطني، الذي ذُبلت أزهاره.
وإن كنت تتساءلين عن حالي؟! فأنا حزين جداً الآن؛ لأن
الحرب نسخة حب مشوهة.

لقد دنست قدسيته العظيمة في هذه الحياة؛ لترمى في مستنقع
الأسى الذي نمت على ظلاله الطحالب، والأشواك عوضاً
عن الزهور، والنقاء.

ولكنني لن أسمح لحُبنا - الذي نما بالقرب من حياض الماء -
أن يصيبه غبار الألم.

أتعلمين - يا حبيبتي - بأن الحرب سلبت مني نقاء هذه الحياة،
وحقتني بجرعات كيماوية فتاكة؛ فقط لتنسيني حبك الدفين،
لأبد أنها لم تكن على علم بأن حبك قد نُقِشَ كوسام تصعب
إزالته.

فتاتي: أدركُ أن الرء طعنة الحب، وبأن البعد سم زعاف ،
ولكن كيف ألقاكِ؟ طريقي زهرتي مهدم.
ولأني أثق بحبك الذي لم يلوث بعد ، سيُكلل لقاءنا قاب
حريين وإن طالت.

سيزهر على ظلالهما عمق حب لم يكن ليمل من انتظره على
حافة حرب مشوهة.

تكملة ...

نعم صحيح ..

نسيت أن أخبركم:

أنا تاج ابنة شمس، ولست شمس.

جميع ما عشتموه هنا كان رحلة صغيرة في محيط تلك المذكرة؛

وقد مر الكثير عليها. لقد قرأنا مذكرة أمي سوياً، نعم لقد

اختطف الموت زهور أمي الحريرية. لتكون آخر جملة تتلفظ

بها أمي قبل دخولها العملية:

(كل الذين ماتوا نجوا من الحياة بأعجوبة) محمود درويش.

لكل شخص منا حكايته بكل ما فيها من أفراح،
وأحزان، ومواقف.

لكلّ منّا شخصيته، وذاته المستقلة، وروحه المتحررة،
والمنطلقة

لكل ما سيواجهه في هذه الحياة؛ الأشبه برحلةٍ
مليئةٍ بالجنون والمغامرات، مليئةٍ بالصعاب؛
ويحفها القليل من السلاسة،

والكثير من المحاولات، والأكثر من النجاحات؛
لمن استطاع ترويضها، ومجاراتها؛ وكأنها فرسه
المدللة التي ترفض أن يهيم بها أحد غير صاحبها.

إيثار عبدالخالق